

حالكموا الحب

مسيرة الحب في حياة رسول الله ﷺ

أ.د. علي جمعة
(مفتي الديار المصرية)

نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع

حاكموا الحب

مسيرة الحب في حياة رسول الله ﷺ

تأليف

أ.د. علي جمعة

مفتي الديار المصرية



العنوان:

حاكموا الحب «مسيرة الحب في حياة رسول الله ﷺ»

تأليف:

الأستاذ الدكتور

علي جمعة محمد

مفتي الديار المصرية

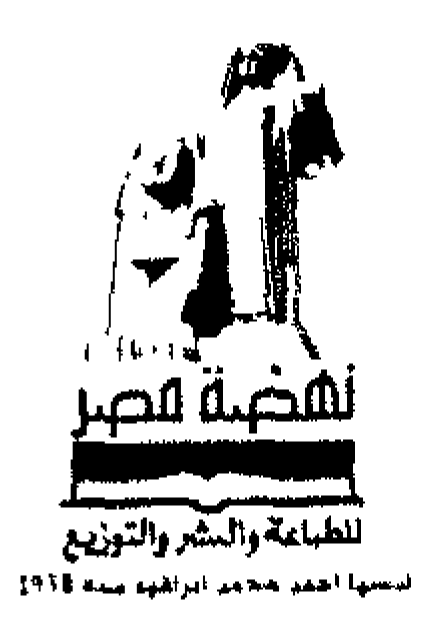
إشراف عام:

داليا محمد إبراهيم

الترقيم الدولي: 977-14-1724-X

رقم الإيداع: 2010/10325

الطبعة الأولى: أغسطس 2010



تليفون: 33466434 - 33472864 02

فاكس: 33462576 02

خدمة العملاء: 16766

Website: www.nahdetmisr.com

E-mail: publishing@nahdetmisr.com

21 شارع أحمد عرابي - المهندسين - الجيزة

مُقَدِّمَة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الحق إلى كافة الخلق، وغمام الرحمة، الصادق البرق، والحائز في ميدان اصطفاء الرحمن قصب السبق، خاتم الأنبياء، ونبي الهدى، الذي طهر قلبه وغفر ذنبه وختم به الرسالة رَبُّهُ، خير من وطئ الثرى، من لو حازت الشمس بعض كماله ما عدمت إشراقًا، أو كان للآباء رحمة قلبه ذابت نفوسهم إشفاقًا، وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد: فإن كثيرًا من دلائل الحب التي جرت في أيام النبي محمد ﷺ سواء بينه وبين زوجاته أو بينه وبين أبنائه أو بينه وبين أصحابه أو بين أصحابه بعضهم مع بعض يصعب على كثير منا في هذا العصر تفسيرها أو تأويلها فضلاً عن اليقين في وقوعها، حتى أنكرها كثير من الناس ورفضوها، وذلك لأننا صرنا نعيش في عصر انتزعت منه قيم الحب الأصيلة التي كانت تحكم أحداث عصر النبوة، ولن نستطيع أبدًا أن نستوعب مثل هذه الحوادث والدلائل إلا إذا لبسنا نظارة الحب حتى نرى ونتذوق ونستمتع، حينئذ فقط يمكن فهم الأسباب والدوافع والحالة الشعورية والوجدانية التي عاشها الإنسان في هذا المكان وفي هذا الزمان، نعم كان الصحابة يعيشون حالة حب دائمة، وكان رسول الله ﷺ طاقة حب ورحمة وحنان ورأفة وَرِقَّة تسري روحها في كل شيء حتى الجماد.

جاء في بردة الإمام البوصيري يمدح سيدنا رسول الله ﷺ:

فَإِنَّ فَضْلَ رَسُولِ اللهِ لَيْسَ لَـهُ حَدٌّ فَيُعْرِبُ عَنْـهُ نَاطِقٌ بِفَمِ

وَكَيْفَ يُدْرِكُ فِي الدُّنْيَا حَقِيقَتَهُ قَوْمٌ نِيَامٌ تَسَلَّوْا عَنْهُ بِالْحُلُمِ

وهذان البيتان يشتملان على حقائق عدة منها:

1 – إن رسول الله ﷺ شخص عظيم له حقيقة يغفل عنها كثير من المؤمنين به، فضلا عن من لم يعرفه أصلاً أو لم يؤمن به.

2 – إن هذه الحقيقة وإن كانت ظاهرة للعيان فإنه ينكرها قساة القلوب ذوو البصائر الصدئة، ويصدق فيهم قول الشاعر:

قَدْ تُنْكِرُ الْعَيْنُ ضَوْءَ الشَّمْسِ مِنْ رَمَدٍ وَيُنْكِرُ الفَمُ طَعْمَ المَاءِ مِنْ سقَمِ

3 – إن الإنسان إذا قارب الاطلاع على حقيقة رسول الله ﷺ ولو بصورة جزئية فإنه ينبهر بنورها، ويعشق جمالها، ويهاب جلالها، ويذوب في حبها، ويعيش فيها وتعيش فيه.

وهذا هو مقصدنا من الكتاب، أن نعيش بعض حالات الحب لدى رسول الله ﷺ، وأن ندعو الأمة إلى أن تتوحد وتتجمع حول محبة رسول الله ﷺ، فإن هذه المحبة حقًّا قادرة على جمع شملنا وتوحيد كلمتنا وَرَدِّ شاردنا.

4 – والحقيقة أن معرفتنا بحقيقة رسول الله ﷺ ليست محيطة أو شاملة، بل هي جزئية، يعرف الإنسان بعضها ويجهل بعضها، ثم تزداد المعرفة وتكتمل في حياته حسب فتوح الله عليه، وهكذا طوال عمره شيئًا فشيئًا، ويزيد مع المعرفة الحب والشوق ويزداد الانجذاب به وإليه ﷺ.

5 – وحقيقة أخرى وهي أن الفتوح الإلهية بالمعرفة للحقيقة النبوية ليست بمحض التمني والصدفة بل مرتبطة بالهمة العالية والعمل والاجتهاد في سبيل تحصيل هذه المعرفة.

وإن قومًا غرهم بالله الغرور يقولون: نحسن الظن بالله. ولو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل.

6 – وهذه الحقيقة المحمدية موجودة في القرآن الكريم، إذ كان ﷺ قرآنًا يمشي على الأرض، وكان خلقه القرآن، وقال عنه تعالى في قرآنه: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾.[1] وموجودة في سُنَّة رسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله، وموجودة في سيرته في مواقفه وعلاقاته، وموجودة في تراث الأمة الإسلامية في فقهها وشعرها ونثرها وأناشيدها وسلوكياتها وأخلاقها.

7 – وحقيقة سيدنا محمد ﷺ نراها في الكون من حولنا، هذا الكون الذي يدل على الله ويرشد الخلق على وجوده وعظمته، ويهدينا إلى الإيمان به وحبه.

ولكن ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾.[2]

8 – وهذه الحقيقة إذا عرفتها ودخلت قلبك لن تخرج منه أبدًا، ويشعر من فُتِحَ له ولو بشيء بسيط منها بالفرح والفرج والزيادة والطمأنينة، ولكن من أغلق على نفسه باب المعرفة والحب فمن يملك له شيئًا، بل مآله أن يتيه في الحياة ويتخبط في نواحيها، ولا ينجيه إلا أن يُفتح في قلبه طريق لحقيقة الحب ومشاربه.

---

(1) سورة القلم: آية 4.

(2) سورة الحج: آية 46.

وهـذه المعرفـة وهذا الفضل هو فضـل الله يؤتيـه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

وهو الحكمة التي قال عنها الله، تبارك وتعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾.[1]

9 – ودرجـات الحب وأنواعـه كثيرة ومتعـددة، وقصص المحبين والعاشقين لرسول الله ﷺ الواثقين بحبهم أكثر وأعجب، وسوف نسوق طرفًا منها في هذا الكتاب بما يثير الحب الصادق لرسول الله ﷺ في قلوب العارفين والمؤمنين.

10 – وأمـر القلـوب وأمر الحـب بيد الله وحـده، ولا حيلة لأحد من الخلق فيـه، فهو سبحانه وحده الذي يمتن بـه، وهو الذي يقدر علي حرمانه الإنسان وانتزاعه من قلبه.

هذا وقد آثرنا ألَّا نقسم الكتاب إلي فصول أو مباحث، بل تركناه كما هـو وحدة واحدة، تمثل حالة الحـب في دائرة حياة رسول الله ﷺ .

وعسـى أن يكـون كتابنا هـذا سببًـا لفتح الله ورضـاه ومحبة رسول الله ﷺ واجتماعنا به.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

علي جمعة محمد

مفتي الديار المصرية

---

(1) سورة البقرة: آية 269.

لماذا أحب الصحابة رسول الله ﷺ هذا الحب العظيم؟

كان رسول الله ﷺ أجمل الناس، وأنظف الناس، وأصدق الناس، وأرأف الناس، كان قلبه مليئًا بالحب، والرحمة، والحنان، والانشراح، والمرح والطمأنينة؛ ولهذا أحبه كل من حوله حبًا جمًّا، وشمل حبه الإنسان والحيوان والشجر والجماد أيضًا.

أحبه الإنسان مطلق الإنسان، سواء من آمن به أو من لم يؤمن، صرح من آمن برسول الله ﷺ في مواقف كثيرة عن حبه الكبير لرسول الله وشغفه به وشوقه إليه وعدم الصبر على الابتعاد عنه ومفارقته، وكذلك بان بالقول والفعل من المشركين حبهم لرسول الله ﷺ في مواقف عدة.

فنرى حب رسول الله ﷺ واحترامه وتوقيره يغلب على أبي سفيان حال شركه قبيل فتح مكة، حينما أتى به العباس رضي الله عنه لرسول الله ﷺ قال له: **وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ، أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنِّي رَسُولُ اللهِ؟ قَالَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، مَا أَحْلَمَكَ وَأَكْرَمَكَ وَأَوْصَلَكَ، أَمَّا هَذِهِ فَإِنَّ فِي النَّفْسِ حَتَّى الْآنَ مِنْهَا شَيْئًا.**[1]

---

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (12/8) رقم 7264). قال الهيثمي في مجمع الزوائد (6/166): رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.



بل نرى أبا لهب عم رسول الله ﷺ والذي أصر على معاداته حتى آخر يوم في حياته، يغلبه حب رسول الله ﷺ والشفقة عليه وعلى مرضعته ثويبة، وكانت أَمَة عنده، فلما أخبرته بمولد رسول الله ﷺ أعتقها محبة في رسول الله ﷺ.

قَالَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيرِ: فَلَمَّا مَاتَ أَبُو لَهَبٍ أُرِيَهُ بَعْضُ أَهْلِه بِشَرِّ حِيبَةٍ[1] قَالَ لَهُ: مَاذَا لَقِيتَ؟ قَالَ أَبُو لَهَبٍ: لَمْ أَلْقَ بَعْدَكُمْ غَيْرَ أَنِّي سُقِيتُ فِي هَذِهِ بِعَتَاقَتِي ثُوَيْبَةَ.[2]

ويقول الإمام السهيلي صاحب «الروض الأنف»: وَفِي غَيْرِ الْبُخَارِيِّ أَنَّ الذِي رَآهُ مِنْ أَهْلِهِ هُوَ أَخُوهُ الْعَبَّاسُ قَالَ: مَكَثْت حَوْلًا بَعْدَ مَوْتِ أَبِي لَهَبٍ لَا أَرَاهُ فِي نَوْمٍ ثُمَّ رَأَيْته فِي شَرِّ حَالٍ، فَقَالَ: مَا لَقِيت بَعْدَكُمْ رَاحَةً إلَّا أَنَّ الْعَذَابَ يُخَفَّفُ عَنِّي كُلَّ يَوْمِ اثْنَيْنِ. وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ وُلِدَ يَوْمَ الإِثْنَيْنِ، وَكَانَتْ ثُوَيْبَةُ قَدْ بَشَّرَتْهُ بِمَوْلِدِهِ، قَالَتْ لَهُ: أَشَعَرْتَ أَنَّ آمِنَةَ وَلَدَتْ غُلَامًا لِأَخِيكَ عَبْدِ اللهِ؟ فَقَالَ لَهَا: اذْهَبِي، فَأَنْتِ حُرَّةٌ. فَنَفَعَهُ ذَلِكَ.[3]

أي فنفعه فرحه بمولد رسول الله ﷺ.

وبعد البعثة انتدب مشركو قريش الوليد بن المغيرة أن يذهب لرسول الله ﷺ حتى يأتيهم بخبره، ويروا بأي تهمة يرمونه

---

(1) بشر حيبة. أي بسوء حال.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه (5/ 1961 رقم 4813).

(3) الروض الأنف، للسهيلي (3/ 99).

بالسحر أو بالكهانة أو بالجنون، فذهب الوليد بوجه ورجع بوجه غير الذي ذهب به؛ فإنه حين سمع مِنْ «في» رسول الله ﷺ قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ﴾[1] عاد فقال للمشركين: والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أسفله لمغدق، وإن أعلاه لمثمر، وما يقول هذا بشر[2].

وكذلك نرى عبد الله بن أريقط يصحب رسول الله ﷺ وأبا بكر الصديق في رحلة الهجرة يدلهما على الطريق وكان مشركًا، استأجراه فَدَفَعَا إِلَيْهِ رَاحِلَتَيْهِمَا، فَكَانَتَا عِنْدَهُ يَرْعَاهُمَا لِمِيعَادِهِمَا[3].

ولا مبرر في العقل لعبد الله– الذي لم يثبت بأي طريق أنه أسلم قط– أن يحفظ سر رسول الله ﷺ ويعرض نفسه للخطورة في رحلة الهجرة، ويَصْدُقَ رسولَ الله ﷺ في الدلالة على الطريق، والتعمية على المشركين، والتفريط في الجائزة الثرية التي جعلها مشركو قريش لمن يدل على رسول الله ﷺ وصاحبه حيًا أو ميتًا وهي مائة ناقة؛ إلا أنه كان متيمًا برسول الله ﷺ ومستشعرًا لقدره ومكانته، ومقدرًا للدور الذي يقوم به من هداية الناس إلى الخير.

ومهما كثر الأجر الذي رصده له رسول الله ﷺ أو أعطاه إياه لم يكن لينافس ما رصدته قريش للدلالة على رسول الله ﷺ.

---

(1) سورة النحل: آية 90.

(2) أخرجه الحاكم في المستدرك (2/550 رقم 3872) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي والبيهقي في شعب الإيمان (1/156 رقم 134) كلاهما عن ابن عباس.

(3) أخرجه الطبري في تاريخه (1/569) عن عائشة.

ويظهـر ذلك الحب أيضًـا في طريق الهجـرة عندما سعى سراقة ابـن جعشـم وراء ركب رسـول الله ﷺ بغية أن يمسك بـه أو يرشد عنـه ويفوز بالمائـة ناقة التي رصدتها قريش لذلك، ولكنه ويعد أن يصـل إلى رسول الله ﷺ ويكتشف ركبه ويكلمه رسول الله ﷺ يرجع فَيُخَذِّل عن رسول الله ﷺ ويرد الطلب عن ركبه، ويقوم بدور مهم في الهجرة حيث ضلـل المشركين في السبـل المختلفة حتى اطمأن أن رسول الله ﷺ وصل إلى الأمـان، وسراقة رضي الله عنه لـم يكن حينئذ مسلمًا، ولم يخرج إلى رسول الله ﷺ ليعلن إسلامه إلا بعد فتح مكة وحنين والطائف.

ويحكـي سراقـة بـن جعشم مـا دار بينـه وبين رسـول الله ﷺ حينما تعثرت به فرسه في التراب وأبت أن تُلْحِقَهُ برسول الله، قَالَ: فَنَادَيْت الْقَوْمَ فَقُلْت: أَنَـا سُرَاقَةُ بْنُ جُعْشُـمٍ انْظرُونِي أُكَلِّمْكُمْ فَوَالله لَا أَرِيبكُمْ وَلَا يَأْتِيكُمْ مِنِّي شَيْءٌ تَكْرَهُونَهُ. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: وَمَا تَبْتَغِـي مِنَّـا؟ فقُلْت: تَكْتُبُ لِي كِتَابًا يَكُونُ آيَـةً بَيْنِي وَبَيْنَك. قَالَ: اُكْتُبْ لَهُ يَا أَبَا بَكْرٍ.

فوعده رسول الله ﷺ وكتب له أن يُلْبَسَ سواري كسرى[1]، فلا بد أن سراقة رأى من رسول الله ﷺ في هذا اللقاء القصير ما أوقع في قلبه حبًـا لشخصه الشريف؛ مما جعل سراقـة يحتفظ برقعة يعده فيهـا رجـل هـارب من قومه علـى طريق موحش مهـدد بأن يلبس

---

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (7/133 رقم 6602)، والبيهقي في دلائل النبوة (2/487) كلاهما عن سراقة.

سـواري كسرى ملك الفرس، وكذلك ينـذر نفسه لنصرة هذا الرجل، ويخذل عنه ويشتت عنه كل من يريده بسوء.

وفي المنطق والعقل لا يوجد سوى الحب، والعاطفة هي الشيء الوحيد القادر علـى تحريك النفس بهذا الشكل، والحب هو المحرك الـذي جعـل سراقـة يخـاف علـى رسـول الله ﷺ ويبغـي سلامته ويصدقـه فـي وعـده قبـل أن يؤمن بنبوتـه، كل ذلك بعـد أن كان ساعيًا في اللحـاق به وقتله أو الإمساك به ورده إلى المشركين.

وفـي قصـة إسلام عمر بـن الخطاب مثل ذلك التحـول، غير أن عمـر وقع في قلبه الحب والإيمـان في آن واحد حتى قبل أن يلقى رسول الله ﷺ، وبمجرد أن قرأ آيات القرآن التي أُوحِيَ بها لرسول الله ﷺ فـي صحيفة عنـد أخته فاطمة. فبعـد أن كان عمر ساعيًا لقتـل رسـول الله ﷺ بغضًـا وكراهية صـار ساعيًا للقائـه حبيبًا مشوقًا مؤمنًا.

وأَحب رسولَ الله ﷺ من أول لقاء ذلك الغلام النصراني عداس الـذي أرسلـه سيداه عُتْبَـةُ وشَيْبَـةُ ابْنَا رَبِيعَة بقطـف من عنب لما رأيـا مَا لَقِيَه رسول الله ﷺ من أهل الطائف وتَحَرَّكَتْ لَهُ رَحِمُهُمَا، أَقْبَـلَ علَـى رسول الله ﷺ وَوَضَعـهُ بَيْنَ يَدَيْه ثُمَّ قَالَ لَـهُ: كُلْ. فَلَمَّا وَضَـعَ رَسُـولُ الله ﷺ فِيهِ يَدَه: بِاسْمِ الله. ثُـمَّ أَكَلَ، فَنَظَرَ عَدَّاسٌ في وَجْهِـهِ ثمَّ قالَ: والله إنَّ هذَا الـكلامَ مايقولُه أهلُ هذهِ البلادِ، فقالَ لَـهُ رَسُولُ الله ﷺ: «وَمِنْ أَهْلِ أَيِّ الْبِـلادِ أَنْتَ يَا عَدَّاسُ؟ وَمَا دِينُكَ؟ قَالَ: نَصْرَانِـيٌّ، وَأَنَـا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ نِينَوَى. فَقَال رَسُولُ الله ﷺ: «مِنْ

قَرْيَـةِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ يُونُسَ بْنِ مَتَّـى». فَقَالَ لَهُ عَدَّاسٌ: وَمَا يُدْرِيكَ مَا يُونُسُ بْنُ مَتَّى؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «ذَاكَ أَخِي، كَانَ نَبِيًّا وَأَنَا نَبِيٌّ». فَأَكَبَّ عَدَّاسٌ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ يُقَبِّلُ رَأْسَهُ وَيَدَيْهِ وَقَدَمَيْهِ.

فَلَمَّا رجع عداس إلى سيديه قَالَا لَهُ: وَيْلَكَ يَا عَدَّاسُ! مَا لَكَ تُقَبِّلُ رَأْسَ هَذَا الرَّجُلِ وَيَدَيْهِ وَقَدَمَيْهِ؟ قَالَ: يَا سَيِّدِي مَا فِي الْأَرْضِ شَيْءٌ خَيْرٌ مِنْ هَذَا. لَقَدْ أَخْبَرَنِي بِأَمْرٍ مَا يَعْلَمُهُ إِلَّا نَبِيٌّ.[1]

ونرى مثل هذا الحب من أم معبد الخُزَاعِيَّةِ رضي الله عنها قبل إسلامها، فإنه لما مَرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ بركبه وفيه أبو بكر الصديق وابن أريقط وعامر بن فهيرة في رحلة الهجرة بِخَيْمَتَيْهَا فَسَأَلَاهَا: هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ؟ فَقَالَتْ: وَاللهِ لَوْ كَانَ عِنْدَنَا شَيْءٌ مَا أَعْوَزَكُمُ الْقِرَى، وَالشَّاءُ عَازِبٌ. وَكَانَتْ مُسْنِتَةً شَهْبَاءَ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى شَاةٍ فِي كِسْرِ الْخَيْمَةِ فَقَالَ: «مَا هَذِهِ الشَّاةُ يَا أُمَّ مَعْبَدٍ؟» قَالَتْ: شَاةٌ خَلَّفَهَا الْجَهْدُ عَنِ الْغَنَمِ. فَقَالَ: «هَلْ بِهَا مِنْ لَبَنٍ؟» قَالَتْ: هِيَ أَجْهَدُ مِنْ ذَلِكَ. فَقَالَ: «أَتَأْذَنِينَ لِي أَنْ أَحْلِبَهَا؟» قَالَتْ: نَعَمْ بِأَبِي وَأُمِّي إِنْ رَأَيْتَ بِهَا حَلْبًا فَاحْلُبْهَا. فَمَسَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِهِ ضَرْعَهَا وَسَمَّى اللهَ وَدَعَا فَتَفَاجَّتْ عَلَيْهِ وَدَرَّتْ، فَدَعَا بِإِنَاءٍ لَهَا يُرْبِضُ الرَّهْطَ، فَحَلَبَ فِيهِ حَتَّى عَلَتْهُ الرَّغْوَةُ، فَسَقَاهَا فَشَرِبَتْ حَتَّى رَوِيَتْ، وَسَقَى أَصْحَابَهُ حَتَّى رَوَوْا، ثُمَّ شَرِبَ، وَحَلَبَ فِيهِ ثَانِيًا حَتَّى مَلَأَ الْإِنَاءَ،

(1) السيرة النبوية لابن هشام 421/1.

ثُمَّ غَادَرَهُ عِنْدَهَا فَارْتَحَلُوا، فَقَلَّمَا لَبِثَت أَنْ جَاءَ زَوْجُهَا أَبُو مَعْبَد يَسُوقُ أَعْنُزًا عِجَافًا يَتَسَاوَكْنَ هُزْلًا لَا نِقْيَ بِهِنَّ، فَلَمَّا رَأَى اللَّبَنَ عَجِبَ فَقَالَ: مِنْ أَيْنَ لَكِ هَذَا وَالشَّاةُ عَازِبٌ؟ وَلَا حَلُوبَةَ فِي الْبَيْتِ؟ فَقَالَتْ: لَا وَاللهِ إِلَّا أَنَّهُ مَرَّ بِنَا رَجُلٌ مُبَارَكٌ، كَانَ مِنْ حَدِيثِهِ كَيْتَ وَكَيْتَ، وَمِنْ حَالِهِ كَذَا وَكَذَا. قَالَ: وَاللهِ إِنِّي لَأَرَاهُ صَاحِبَ قُرَيْشٍ الَّذِي تَطْلُبُهُ، صِفِيهِ لِي يَا أُمَّ مَعْبَد.

قَالَتْ: ظَاهِرُ الْوَضَاءَةِ أَبْلَجُ الْوَجْهِ حَسَنُ الْخَلْقِ، لَمْ تَعِبْهُ نُحْلَةٌ وَلَمْ تُزْرِ بِهِ صَعْلَةٌ، وَسِيمٌ قَسِيمٌ، فِي عَيْنَيْهِ دَعَجٌ، وَفِي أَشْفَارِهِ وَطَفٌ، وَفِي صَوْتِهِ صَحَلٌ، وَفِي عُنُقِهِ سَطَعٌ، أَحْوَرُ، أَكْحَلُ، أَزَجُّ، أَقْرَنُ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، إِذَا صَمَتَ عَلَاهُ الْوَقَارُ، وَإِنْ تَكَلَّمَ عَلَاهُ الْبَهَاءُ، أَجْمَلُ النَّاسِ وَأَبْهَاهُمْ مِنْ بَعِيدٍ، وَأَحْسَنُهُ وَأَحْلَاهُ مِنْ قَرِيبٍ، حُلْوُ الْمَنْطِقِ فَصْلٌ، لَا نَزْرٌ وَلَا هَذْرٌ، كَأَنَّ مَنْطِقَهُ خَرَزَاتُ نَظْمٍ يَتَحَدَّرْنَ، رَبْعَةٌ لَا تُقْحِمُهُ عَيْنٌ مِنْ قِصَرٍ وَلَا تَشْنَؤُهُ مِنْ طُولٍ، غُصْنٌ بَيْنَ غُصْنَيْنِ، فَهُوَ أَنْضَرُ الثَّلَاثَةِ مَنْظَرًا، وَأَحْسَنُهُمْ قَدْرًا، لَهُ رُفَقَاءُ يَحُفُّونَ بِهِ، إِذَا قَالَ اسْتَمَعُوا لِقَوْلِهِ، وَإِذَا أَمَرَ تَبَادَرُوا إِلَى أَمْرِهِ، مَحْفُودٌ، مَحْشُودٌ، لَا عَابِسٌ وَلَا مُفْنِدٌ.

فَقَالَ أَبُو مَعْبَد: وَاللهِ هَذَا صَاحِبُ قُرَيْشٍ الَّذِي ذَكَرُوا مِنْ أَمْرِهِ مَا ذَكَرُوا، لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَصْحَبَهُ، وَلَأَفْعَلَنَّ إِنْ وَجَدْتُ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا.[1]

---

(1) وردت القصة في كتب السيرة مثل زاد المعاد لابن القيم. أَعْوَزَكُمْ: عَدِمْتُمْ. كِسْرُ الْبَيْتِ: جَانِبُهُ أَوْ رُكْنُهُ. فَتَفَاجَّتْ: فَرَّقَتْ مَا بَيْنَ فَخِذَيْهَا لِامْتِلَاءِ ضَرْعِهَا. يُرْبِضُ الرَّهْطَ. يُرْوِيهِمْ =

فأم معبد رضي الله عنها تصف رجلاً مسافرًا في البادية مر عليها في ركب لم تلقه من قبل ولم تعرف من هو، وما يخرج مثل هذا الوصف إلا من محب مُتَيَّم وكذلك الحال مع زوجها الذي أحبه قبل أن يلقاه.

وأحب رسولَ الله ﷺ عمُّه وأخوه من الرضاعة حمزة بن عبد المطلب، وكان هذا الحب سببًا في هداية حمزة ودخوله في الإسلام.

روى ابن إسحاق أَنَّ أَبَا جَهْلٍ مَرَّ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ عِنْدَ الصَّفَا، فَآذَاهُ وَشَتَمَهُ وَنَالَ مِنْهُ بَعْضَ مَا يَكْرَهُ مِنَ الْعَيْبِ لِدِينِهِ وَالتَّضْعِيفِ لأَمْرِهِ، فَلَمْ يُكَلِّمْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَمَوْلاَةٌ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ جُدْعَانَ، ثم عَمَدَ إِلَى نَادٍ مِنْ قُرَيْشٍ عِنْدَ الْكَعْبَةِ فَجَلَسَ مَعَهُمْ. فَلَمْ يَلْبَثْ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنْ أَقْبَلَ مُتَوَشِّحًا قَوْسَهُ رَاجِعًا مِنْ قَنْصٍ لَهُ، وَكَانَ صَاحِبَ قَنْصٍ يَرْمِيهِ وَيَخْرُجُ لَهُ، وَكَانَ إِذَا رَجَعَ مِنْ قَنْصِهِ لَمْ يَصِلْ إِلَى أَهْلِهِ حَتَّى يَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ، وَكَانَ إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ لَمْ يَمُرَّ عَلَى نَادٍ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَّا وَقَفَ وَسَلَّمَ وَتَحَدَّثَ مَعَهُمْ، وَكَانَ أَعَزَّ فَتًى فِي قُرَيْشٍ، وَأَشَدَّ شَكِيمَةً. فَلَمَّا مَرَّ بِالْمَوْلاَةِ وَقَدْ رَجَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى بَيْتِهِ قَالَتْ لَهُ: يَا أَبَا عُمَارَةَ لَوْ رَأَيْتَ مَا لَقِيَ ابْنُ أَخِيك

=حَتَّى يُثْقِلَهُمْ فَيَنَامُوا. يَتَسَاوَكْنَ: يَتَمَايَلْنَ مِنَ الضَّعْفِ. نِقْيٌ: مُخٌّ أَوْ سِمَنٌ. الصَّعْلُ: الصَّغِيرُ الرَّأْسِ الطَّوِيلُ الْعُنُقِ الدَّقِيقُهُمَا. دَعَجٌ: شِدَّةُ سَوَادِ الْعَيْنِ فِي شِدَّةِ بَيَاضِهَا. وَطَفٌ: غَزَارَةٌ وَاسْتِرْخَاءٌ. صَحَلٌ. بَحَّةٌ أَوْ حِدَّةٌ. سَطَعٌ: طُولٌ. أَزَجُّ: دَقِيقُ شَعْرِ الْحَاجِبَيْنِ مَعَ طُولِهِمَا. أَقْرَنُ: مَقْرُونُ الْحَاجِبَيْنِ. لاَ نَزْرٌ وَلاَ هَذْرٌ: لاَ قِلَّةٌ وَلاَ سَخَفٌ. رَبْعَةٌ: مُتَوَسِّطُ الطُّولِ. مَحْفُودٌ: مَخْدُومٌ. مَحْشُودٌ: يَجْتَمِعُ النَّاسُ حَوَالَيْهِ. وَلاَ مُفْنِدٌ: وَلاَ مُضْطَرِبٌ أَوْ مُهْتَزٌّ، وَلاَ مُخْتَلِطٌ كَلاَمُهُ أَوْ مُسَفَّهٌ عَقْلُهُ.

مُحَمَّدٌ آنِفًا مِنْ أَبِي الْحَكَمِ بْنِ هِشَامٍ، وَجَدَهُ هَاهُنَا جَالِسًا فَآذَاهُ وَسَبَّهُ وَبَلَغَ مِنْهُ مَا يَكْرَهُ ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ وَلَمْ يُكَلِّمْهُ مُحَمَّدٌ ﷺ.

فَاحْتَمَلَ حَمْزَةَ الْغَضَبُ لِمَا أَرَادَ اللهُ بِهِ مِنْ كَرَامَتِهِ فَخَرَجَ يَسْعَى وَلَمْ يَقِفْ عَلَى أَحَدٍ، مُعِدًّا لِأَبِي جَهْلٍ إِذَا لَقِيَهُ أَنْ يُوقِعَ بِهِ فَلَمَّا دَخَلَ الْمَسْجِدَ نَظَرَ إِلَيْهِ جَالِسًا فِي الْقَوْمِ فَأَقْبَلَ نَحْوَهُ حَتَّى إِذَا قَامَ عَلَى رَأْسِهِ رَفَعَ الْقَوْسَ فَضَرَبَهُ بِهَا فَشَجَّهُ شَجَّةً مُنْكَرَةً، ثُمَّ قَالَ: أَتَشْتُمُهُ وَأَنَا عَلَى دِينِهِ، أَقُولُ مَا يَقُولُ ؟ فَرُدَّ ذَلِكَ عَلَيَّ إِنْ اسْتَطَعْتَ.[1]

وأحبه أيضًا من لم يدركوا الإسلام والبعثة، وما ذلك إلا للعلامات التي كانت تظهر على رسول الله، سواء في صغره أم في كبره قبل الوحي.

وممن أحبه ورعاه وفطن لما سيئول إليه حاله جده عبد المطلب، وهو الذي سماه محمدًا، وهذا الاسم لم يكن العرب يألفونه؛ لذلك سألوه لم رغب عن أسماء آبائه. فأجاب: أردت أن يحمده الله في السماء، وأن يحمده الخلق في الأرض.

وجدُّ رسول الله ﷺ عبد المطلب بن هاشم هو الذي كفله بعد موت أبيه وأمه، وكان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة وكان لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالاً له، وكان رسول الله ﷺ يأتي حتى يجلس عليه، فيذهب أعمامه يؤخرونه فيقول جده: دعوا ابني. فيمسح ظهره ويقول: إن لابني هذا لشأنًا.

---

(1) السيرة النبوية لابن هشام (1/129).

ويومًا أرسله جده في طلب إبل له شردت، ولم يرسله في حاجة قط إلا جاء بها، ولكنه احتبس عليه ثم جاء بها، فقال له جده: يا بني لقد حزنت عليك حزنًا؛ لا تفارقني أبدًا.[1]

والحاصل أنه لم ير رسولَ الله ﷺ أحدٌ إلا آمن به وصدقه واتبعه، ولم يطق صبرًا على فراقه، حبًا له ولجماله ولعقله ولهديه، ولا يقدح في ذلك كُفْرُ مَنْ كَفَرَ في عصره ولا نفاق من نافق؛ لأن أولئك النفر في الحقيقة لم يروه، ولم يتركوا لأرواحهم العنان ولا لنفوسهم ولا لعقولهم أن ترى رسول الله ﷺ وتتأمل جماله وحكمته، ولم يروا إلا صورة ليتيم بني هاشم.

هذه بعض حالات الحب التي غمرت قُلوب من شاهد النبى ﷺ أو سمع عنه ممن لم يؤمنوا به أو من آمن به بعد ذلك. فإذا كانت هذه الدلائل وتلك الشواهد نماذج شاهدة عبر التاريخ على ماكانت تحمله قلوب البشر تجاه رسول الله ﷺ فإننا نلحظ مثل تلك المشاهد مع الأجناس الأخرى من عوالم الكون ومخلوقاته.

أما عن الحيوان:

فقد تنوعت الأمثلة الشاهدة على ذلك الحب، ومنها قصة الجمل الذي شكا صاحبه لرسول الله ﷺ فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ، قَالَ: أَرْدَفَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ خَلْفَهُ ذَاتَ يَوْمٍ، فَأَسَرَّ إِلَيَّ حَدِيثًا لَا أُحَدِّثُ بِهِ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ، وَكَانَ أَحَبُّ مَا اسْتَتَرَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِحَاجَتِهِ هَدَفًا أَوْ حَائِشَ نَخْلٍ، قَالَ: فَدَخَلَ حَائِطًا

(1) تاريخ الإسلام للذهبي (8/293).

لِرَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ فَإِذَا جَمَلٌ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ ﷺ حَنَّ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ فَمَسَحَ ذِفْرَاهُ، فَسَكَتَ، فَقَالَ: مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ؟ لِمَنْ هَذَا الْجَمَلُ؟ فَجَاءَ فَتًى مِنَ الأَنْصَارِ فَقَالَ: لِي يَا رَسُولَ اللهِ. فَقَالَ: أَفَلا تَتَّقِي اللهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَ اللهُ إِيَّاهَا؟ فَإِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ».[1]

وقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ يَوْمًا: يَا رَسُولَ اللهِ وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا؟ فَقَالَ: «فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ».[2]

وَتَحْكِي أُمُّ المؤمِنِينَ عَائِشَةُ رضي الله عنها أَنَّهُ كَانَ لآلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَحْشٌ، فَإِذَا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَعِبَ وَاشْتَدَّ وَأَقْبَلَ وَأَدْبَرَ، فَإِذَا أَحَسَّ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ قَدْ دَخَلَ، رَبَضَ فَلَمْ يَتَرَمْرَمْ مَا دَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الْبَيْتِ كَرَاهِيَةَ أَنْ يُؤْذِيَهُ.[3]

أي أن الوحش أحب رسول الله ﷺ، وكان يخاف أن يتأذى بلعبه وحركته أو صوته، أحبه الحيوان الأعجم وحُرِمَ من حبه بعض البشر!

---

(1) أخرجه أبو داود في سننه (3/23 رقم 2549) وفي مسند أبي يعلى (12/158 رقم 6787)، البيهقي في سننه الكبرى (8/13 رقم 15592) كلهم عن عبد الله بن جعفر وذِفْرَاهُ. أصلُ أُذُنَيْه.

(2) أخرجه البخاري (في صحيحه (2/870 رقم 2334) عن أبي هريرة.

(3) أخرجه أحمد في صحيحه (6/112 رقم 24862) وأبو يعلى في مسنده (7/418 رقم 4441) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (9/4): رجال أحمد رجال الصحيح.

وَعَـنْ جَابِرٍ، أَنَّ النَّبِـيَّ ﷺ مُرَّ عَلَيْهِ بِحِمَارٍ قَـدْ وُسِمَ فِي وَجْهِهِ، فَقَـالَ: «أَمَـا بَلَغَكُـمْ أَنِّي قَـدْ لَعَنْتُ مَـنْ وَسَـمَ الْبَهِيمَةَ فِـي وَجْهِهَا أَوْ ضَرَبَهَا فِي وَجْهِهَا». فَنَهَى عَنْ ذَلِكَ.[1]

وَقَـالَ ﷺ: «إِنَّ الله كَتَـبَ الإِحْسَـانَ عَلَـى كُلِّ شَيْءٍ فَـإِذَا قَتَلْتُمْ فَـأَحْسِنُـوا الْقِتْلَةَ وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْـحَ وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَـهُ».[2]

(فَإِذَا قَتَلْتُمْ) أي قَوَدًا قِصَاصًا، (فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ) أي هيئة القتل، والإحسـان فيها اختيـار أسهل الطرق وأقلها إيلامًـا (وَإِذَا ذَبَحْتُمْ) أي بهيمـة تحل (فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ) الذبـح بالرفق بها، فلا يصرعها بعنف، ولا يجرها للذبح بعنف، ولا يذبحها بحضرة أخرى (وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَـهُ) وإراحتهـا تحصـل بسقيها وإمـرار السكيـن عليها بقوة ليسرع موتها فتستريح من ألمه.

قال الإمام النووي: وَهَذَا الْحَدِيث مِن الأَحَادِيث الْجَامِعَة لِقَوَاعِد الإِسْلَام. والله أَعْلَم.

وأمـا عن النبـات:

ففـي ليلـة الجـن التـي خـرج فيهـا النبـي ﷺ مـع عبـد الله ابن مسعود، اجتمع نفر من الجن يستمعون القرآن ثم انصرفوا إلى

(1) أخرجه أبو داود في سننه (3/26 رقم 2564)
(2) أخرجه مسلم في صحيحه (3/1548 رقم 1255) عن شداد بن أوس.

قومهم منذرين، سئل ابن مسعود: من أخبر رسول الله بحضورهم؟ فقال: آذَنَتْهُ بِهِمْ شَجَرَةٌ.[1]

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ قَطَعَ سِدْرَةً صَوَّبَ اللهُ رَأْسَهُ فِي النَّارِ».[2]

يَعْنِي: مَنْ قَطَعَ سِدْرَةً فِي فَلاَةٍ يَسْتَظِلُّ بِهَا ابْنُ السَّبِيلِ وَالْبَهَائِمُ عَبَثًا وَظُلْمًا بِغَيْرِ حَقٍّ يَكُونُ لَهُ فِيهَا صَوَّبَ اللهُ رَأْسَهُ فِي النَّارِ.

وقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا إلاَّ كَانَ مَا أُكِلَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةٌ، وَمَا سُرِقَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةٌ، وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ مِنْهُ فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ، وَمَا أَكَلَتِ الطَّيْرُ فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ، وَلاَ يَرْزَؤُهُ أَحَدٌ إلاَّ كَانَ لَهُ صَدَقَةٌ».[3]

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ نَصَبَ شَجَرَةً فَصَبَرَ عَلَى حِفْظِهَا وَالْقِيَامِ عَلَيْهَا حَتَّى تُثْمِرَ كَانَ لَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ يُصَابُ مِنْ ثَمَرَتِهَا صَدَقَةٌ عِنْدَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ».[4]

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه (3/1401 رقم 3646) ومسلم في صحيحه (1/333 رقم 450). كلاهما عن ابن مسعود.

(2) أخرجه أبو داود في سُننه (4/361 رقم 5239) والنسائي في سننه الكبرى (5/182 رقم 8611) والبيهقي في سننه الكبرى (6/139 رقم 11538) والطبراني في الأوسط (3/50 رقم 2441) كلهم عن عبد الله بن حبشي قال الهيثمي في مجمع الزوائد (3/284) رواه أبو داود خلا قوله من سدر الحرم، رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات.

(3) أخرجه مسلم في صحيحه (3/1188 رقم 1552) عن جابر.

(4) أخرجه أحمد في مسنده (4/61 رقم 16636) والبيهقي في شعب الإيمان (3/265 رقم 3498) كلاهما عن فَنَّج، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (4/68). رواه أحمد وفيه فنج ذكره ابن أبى حاتم ولم يوثقه ولم يجرحه وبقية رجاله ثقات.

وقَــالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنْ قَـامَتْ عَلَى أَحَدِكُـمُ الْقِيَامَةُ وَفِي يَدِهِ فَسِيلَةٌ فَلْيَغْرِسْهَا».[1]

إذن فرسول الله ﷺ يحب النبات ويخاف عليه ويتهدد من يقطعه ظلمًا ويبشر من يحفظه ويقوم على رعايته ويغرسه في الأرض وإن قامت القيامة فعلاقة الحب بينه وبين ذلك النبات متبادلة.

وقد حَنَّ إلى رسول الله ﷺ الجذع ومال حتى سمع الصحابة في المسجد صوت أنينه، فَعَنْ جَابِرٍ: كَانَ الْمَسْجِدُ مَسْقُوفًا عَلَى جُذُوعٍ مِنْ نَخْلٍ، فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا خَطَبَ يَقُومُ إِلَى جِذْعٍ مِنْهَا، فَلَمَّا صُنِعَ لَهُ الْمِنْبَرُ، وَكَانَ عَلَيْهِ، فَسَمِعْنَا لِذَلِكَ الْجِذْعِ صَوْتًا كَصَوْتِ الْعِشَارِ، حَتَّى جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا، فَسَكَنَتْ.[2]

فالجذع يحزن لتحول رسول الله ﷺ عنه إلى المنبر، ورسول الله ﷺ يتجاوب معه فينزل عن منبره ويذهب إليه فيلتزمه ويمسح عليه ولولا ذلك لما سكن أو سكت. فهذا الجذع الذي هو أقرب للجماد منه للنبات يحب رسول الله ﷺ فما بال قلوب أحدنا أشد قسوة من الجماد لا تحن إلى رسول الله ﷺ وتهفو إليه.

---

(1) أخرجه أحمد في مسنده (3/183 رقم 12925) عن أنس بن مالك.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه (3/1314 رقم 3392).

وأما عن الجماد:

فقد مر النبي ﷺ على جبل أحد، وعلى الرغم من أنه كان موطنًا أصاب المسلمين فيه قرح وأصاب النبيَّ ﷺ جرح، واستشهد عليه عمه حمزة بن عبد المطلب فحزن النبي ﷺ لذلك، إلا أنه أشار إليه وقال: هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ.[1]

وفي موقف آخر مع جبل أحد نجد النبي ﷺ يغمزه برجله حينما اهتز من تحته، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ: صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى أُحُدٍ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ، فَرَجَفَ بِهِمْ، فَضَرَبَهُ بِرِجْلِهِ قَالَ: «اثْبُتْ أُحُدُ، فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ صِدِّيقٌ أَوْ شَهِيدَانِ».[2]

ولم يكن هذا الأمر من التفاعل مع الجماد في البيئة الإنسانية مقصورًا في حياة رسول الله ﷺ بعد بعثته، بل وقبلها، فقد قال ﷺ: «إِنِّي لأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ إِنِّي لأَعْرِفُهُ الآنَ».[3]

ومثل ذلك أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ حِينَ أَرَادَهُ الله بِكَرَامَتِهِ وَابْتَدَأَهُ بِالنُّبُوَّةِ كَانَ إِذَا خَرَجَ لِحَاجَتِهِ أَبْعَدَ حَتَّى تَحَسَّرَ عَنْهُ الْبُيُوتُ

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه (4/1498 رقم 3855) ومسلم في صحيحه (2/1011 رقم 1393).

(2) أخرجه البخاري في صحيحه (3/1348 رقم 3483).

(3) أخرجه مسلم في صحيحه (4/1782 رقم 2277) عن جابر بن سمرة.

وَيُفْضِـي إلَـى شِعَابِ مَكَّةَ وَبُطُونِ أَوْدِيَتِهَا، فَـلا يَمُرُّ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِحَجَرٍ وَلَا شَجَرٍ إلَّا قَالَ: السَّلَامُ عَلَيْك يَا رَسُولَ اللهِ.[1]

ولقد نبـع الماء بيـن أصابعه الشريفة ﷺ وسبـح الطعام بين يديه فسمعه أصحابه، فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: كُنَّا نَعُدُّ الآيَاتِ بَرَكَةً، وَأَنْتُمْ تَعُدُّونَهَا تَخْوِيفًا، كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَقَلَّ الْمَـاءُ فَقَالَ: «اطْلُبُوا فَضْلَةً مِنْ مَاءٍ». فَجَـاءُوا بِإِنَاءٍ فِيهِ مَاءٌ قَلِيلٌ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِي الإِنَاءِ، ثُمَّ قَالَ: «حَيَّ عَلَى الطَّهُورِ الْمُبَارَكِ، وَالْبَرَكَةُ مِنَ اللهِ». فَلَقَدْ رَأَيْتُ الْمَاءَ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَقَدْ كُنَّا نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ وَهْوَ يُؤْكَلُ.[2]

والذراع المطهيـة تحدثت لرسول الله ﷺ تحذره من السم الذي دسته اليهودية فيها، فَإِنَّ يَهُودِيَّةً مِنْ أَهْلِ خَيْبَرَ سَمَّتْ شَاةً مَصْلِيَّةً ثُـمَّ أَهْدَتْهَا لِرَسُـولِ اللهِ ﷺ فَأَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الذِّرَاعَ فَأَكَلَ مِنْهَا وَأَكَلَ رَهْـطٌ مِنْ أَصْحَابِهِ مَعَهُ، ثُمَّ قَـالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ارْفَعُوا أَيْدِيَكُـمْ». وَأَرْسَـلَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ إلَى الْيَهُودِيَّةِ فَدَعَاهَـا فَقَالَ لَهَا: «أَسَمَمْتِ هَذِهِ الشَّاةَ؟». قَالَتِ الْيَهُودِيَّةُ: مَنْ أَخْبَرَكَ؟ قَالَ: «أَخْبَرَتْنِي هَـذِهِ فِي يَدِي». لِلـذِّرَاعِ. قَالَتْ: نَعَمْ. قَـالَ: «فَمَـا أَرَدْتِ إلَى ذَلِكَ؟».

---

(1) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (1/157) عن برة بنت أبى بُحراة. والبيهقي في دلائل النبوة (2/146) عن بعض أهل العلم. وأورد ابن هشام في السيرة النبوية ص 233.
(2) أخرجه البخاري (3/1312 رقم 3386).

قَالَـتْ: قُلْـتُ: إِنْ كَانَ نَبِيًّا فَلَنْ يَضُـرَّهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُـنِ اسْتَرَحْنَا مِنْهُ. فَعَفَا عَنْهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ.[1]

وقد كان التراب سلاحًا ناجعًا استجاب لرسول الله ﷺ قبل غزوة بدر، وفيها وفي غزوة حنين فعشي أعين المشركين وكان سببًا في الحيلولة دون الوصول بسوء إلى رسول الله ﷺ وأصحابه.

فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: إِنَّ الْمَلأَ مِنْ قُرَيْشٍ اجْتَمَعُوا فِي الْحِجْرِ فَتَعَاقَدُوا بِالـلاَّتِ وَالْعُـزَّى وَمَنَـاةَ الثَّالِثَةِ الأُخْرَى وَنَـائِلَـةَ وَإِسَافٍ لَوْ قَدْ رَأَيْنَا مُحَمَّدًا لَقَـدْ قُمْنَا إِلَيْـهِ قِيَامَ رَجُـلٍ وَاحِدٍ فَلَـمْ نُفَارِقْهُ حَتَّـى نَقْتُلَهُ، فَأَقْبَلَتِ ابْنَتُهُ فَاطِمَةُ تَبْكِي، حَتَّى دَخَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَتْ: هَـؤُلاَءِ الْمَـلأُ مِنْ قُرَيْشٍ قَدْ تَعَاقَدُوا عَلَيْكَ لَوْ قَدْ رَأَوْكَ لَقَدْ قَامُوا إِلَيْكَ فَقَتَلُـوكَ، فَلَيْسَ مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلاَّ قَدْ عَـرَفَ نَصِيبَهُ مِنْ دَمِكَ. فَقَالَ: «يَا بُنَيَّـةُ أَرِينِي وَضُـوءًا». فَتَوَضَّأَ ثُمَّ دَخَـلَ عَلَيْهِمُ الْمَسْجِـدَ، فَلَمَّا رَأَوْهُ قَالُوا: هَا هُوَ ذَا. وَخَفَضُوا أَبْصَارَهُمْ وَسَقَطَتْ أَذْقَانُهُمْ فِي صُدُورِهِمْ، وَعَقِـرُوا فِي مَجَالِسِهِـمْ فَلَمْ يَرْفَعُوا إِلَيْـهِ بَصَرًا، وَلَمْ يَقُـمْ إِلَيْهِ مِنْهُمْ رَجُـلٌ، فَأَقْبَـلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى قَامَ عَلَى رُءُوسِهِـمْ، فَأَخَذَ قَبْضَةً مِـنَ التُّـرَابِ فَقَالَ: «شَاهَـتِ الْوُجُوهُ». ثُـمَّ حَصَبَهُمْ بِهَـا فَمَا أَصَابَ رَجُلاً مِنْهُمْ مِنْ ذَلِكَ الْحَصَى حَصَاةٌ إِلاَّ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ كَافِرًا.[2]

---

(1) أخرجه أبو داود في سننه (4/173 رقم 4510) والدارمي في سننه (1/46 رقم 68) والبيهقي في سننه الكبرى (8/46 رقم 15787) كلهم عن جابر بن عبد الله.

(2) أخرجه أحمد في مسنده (1/303 رقم 2762) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (8/228). رواه أحمد بإسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح.

وعن العباس بن عبد المطلب: أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَصَيَاتٍ فَرَمَى بِهِنَّ وُجُوهَ الْكُفَّارِ ثُمَّ قَالَ: «انْهَزَمُوا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ». فَوَاللهِ مَا هُوَ إِلاَّ أَنْ رَمَاهُمْ بِحَصَيَاتِهِ فَمَا زِلْتُ أَرَى حَدَّهُمْ كَلِيلاً وَأَمْرَهُمْ مُدْبِرًا.[1]

وقال سلمة بن الأكوع وقد شهد مع رسول الله ﷺ حنينا: فَلَمَّا غَشُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ نَزَلَ عَنِ الْبَغْلَةِ ثُمَّ قَبَضَ قَبْضَةً مِنْ تُرَابٍ مِنَ الأَرْضِ ثُمَّ اسْتَقْبَلَ بِهِ وُجُوهَهُمْ فَقَالَ: «شَاهَتِ الْوُجُوهُ». فَمَا خَلَقَ اللهُ مِنْهُمْ إِنْسَانًا إِلاَّ مَلأَ عَيْنَيْهِ تُرَابًا بِتِلْكَ الْقَبْضَةِ فَوَلَّوْا مُدْبِرِينَ.[2]

ولم يكن تفاعل عالم الجماد مع رسول الله ﷺ مقصورًا على العالم الأرضي، بل امتد إلى العالم السماوي فنجد القمر ينشق نصفين معجزة له، فَإِنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً فَأَرَاهُمُ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ.

قال الخطابي: انشقاق القمر آية عظيمة لا يعادلها شيء من آيات الأنبياء؛ لأنه ظهر في ملكوت السماء، والخطب فيه أعظم، والبرهان به أظهر؛ لأنه خارج عن جملة طباع ما في هذا العالم من العناصر.[3]

وقد استجاب الله لنبيه فسخر السماء والسحاب لاستسقائه ﷺ من حينها، فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: أَصَابَتِ النَّاسَ سَنَةٌ عَلَى عَهْدِ

(1) أخرجه مسلم في صحيحه (1398/3 رقم 1775).

(2) أخرجه مسلم في صحيحه (1402/3 رقم 1777).

(3) بدر الدين العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري 224/16، تحقيق عبد الله محمود، دار الكتب العلمية، ط1/2001م.

النَّبِيِّ ﷺ فَبَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ قَامَ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: يَـا رَسُـولَ اللهِ هَلَكَ الْمَالُ وَجَاعَ الْعِيَالُ، فَـادْعُ اللهَ لَنَا. فَرَفَعَ يَدَيْهِ، وَمَـا نَرَى فِي السَّمَـاءِ قَزَعَةً، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَـدِهِ مَا وَضَعَهَا حَتَّى ثَارَ السَّحَابُ أَمْثَالَ الْجِبَالِ، ثُمَّ لَمْ يَنْزِلْ عَنْ مِنْبَرِهِ حَتَّى رَأَيْتُ الْمَطَرَ يَتَحَـادَرُ عَلَى لِحْيَتِـهِ ﷺ، فَمُطِرْنَا يَوْمَنَا ذَلِكَ، وَمِنَ الْغَدِ، وَبَعْدَ الْغَدِ وَالَّـذِي يَلِيهِ، حَتَّـى الْجُمُعَةِ الأُخْرَى، وَقَامَ ذَلِـكَ الأَعْرَابِيُّ – أَوْ قَالَ غَيْـرُهُ – فَقَـالَ: يَا رَسُـولَ اللهِ، تَهَدَّمَ الْبِنَـاءُ وَغَـرِقَ الْمَالُ، فَادْعُ اللهَ لَنَـا. فَرَفَعَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: «اللهمَّ حَوَالَيْنَـا، وَلاَ عَلَيْنَا». فَمَا يُشِيرُ بِيَدِهِ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنَ السَّحَابِ إِلاَّ انْفَرَجَتْ، وَصَارَتِ الْمَدِينَةُ مِثْلَ الْجَوْبَةِ، وَسَالَ الْوَادِي قَنَاةُ شَهْرًا، وَلَمْ يَجِئْ أَحَدٌ مِنْ نَاحِيَةٍ إِلاَّ حَدَّثَ بِالْجَوْدِ. وفي رواية: وَخَرَجْنَا نَمْشِي فِي الشَّمْسِ.[1]

وكذلـك السحابة التي كانت تظلل رسـول الله ﷺ في الصحراء ومـا فارقته فـي بادية ولا حضر وما فارقته قبـل البعثة وبعدها فإن أمرها مشهور، شهدها كل من عاصره.

إذن فالخلاصــة أن رسول الله ﷺ أحبتـه المخلوقات جميعها وكانـت حياتـه وتعاليمـه تعج بالحـب للمخلوقات كلهـا ما عقل منها وما لم يعقل، من آمن به منها ومن لم يؤمن.

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه (1/315 حديث رقم 891)



• فلماذا كل هذا الحب؟ وما هي أسبابه الظاهرة لكل ذي عينين؟

نستطيع أن نقف على بعض تلك الأسباب، ومنها أنه ﷺ:

1 - **كان أجمل الناس:**

فقد أقحطت مكة سنة من السنين وواجه الناسَ جفافٌ شديد، فأهرع الناس إلى أبي طالب يطلبون منه أن يستسقي لهم، فأمر أن يأتوه بابن أخيه محمد، فأتوه به وهو رضيع في قماطه، فوقف تجاه الكعبة، وفي حالة من التضرع والخشوع أخذ يرمي بالطفل ثلاث مرات إلى أعلى ثم يتلقفه وهو يقول: يا رب بحق هذا الغلام اسقنا غيثًا مغيثًا دائمًا هطلاً. فلم يمض إلا بعض الوقت حتى ظهرت غمامة من جانب الأفق وغطت سماء مكة كلها، وهطل مطر غزير كادت معه مكة أن تغرق.

فأنشد أبو طالب شعرًا في وصف رسول ﷺ وأوصافه فقال:

وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ ... ثِمَالُ الْيَتَامَى عِصْمَةٌ لِلأَرَامِلِ

يَلُوذُ بِهِ الْهُلاَّكُ مِنْ آلِ هَاشِمٍ ... فَهُمْ عِنْدَهُ فِي نِعْمَةٍ وَفَوَاضِلِ

وَأَصْبَحَ فِينَا أَحْمَدُ فِي أَرُومَةٍ ... تُقَصِّرُ عَنْهَا سَوْرَةُ الْمُتَطَاوِلِ

حَلِيمٌ رَشِيدٌ عَادِلٌ غَيْرُ طَائِشٍ ... يُوَالِي إِلاهًا لَيْسَ عَنْهُ بِغَافِلِ

وكذلك مدح الصحابي حسان بن ثابت جمال رسول الله ﷺ فقال:

وَأَجْمَلُ مِنْكَ لَمْ تَرَ قَطُّ عَيْنِي ... وَأَحْسَنُ مِنْكَ لَمْ تَلِدِ النِّسَاءُ

خُلِقْتَ مُبَرَّأً مِنْ كُلِّ عَيْبٍ ... كَأَنَّكَ قَدْ خُلِقْتَ كَمَا تَشَاءُ

وعَـنِ الْبَـرَاءِ بن عـازب رضي الله عنه قـال: مَـا رَأَيْـتُ أَحَدًا أَحْسَنَ فِي حُلَّةٍ حَمْرَاءَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ. وقَـال: إِنَّ جُمَّتَهُ لَتَضْرِبُ قَرِيبًا مِنْ مَنْكِبَيْهِ.[1]

وَيَقُـولُ الْبَـرَاءُ بْنُ عَـازِبٍ: كَـانَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّـاسِ وَجْهًـا، وَأَحْسَنَهُمْ خَلْقًـا، لَيْسَ بِـالطَّوِيلِ الذَّاهِـبِ وَلاَ بِـالْقَصِيرِ.[2]

وعَـنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللهُ عنه قَـالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي لَيْلَـةٍ إِضْحِيَـانٍ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْـرَاءُ، فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَيْـهِ وَإِلَى الْقَمَرِ، فَلَهُوَ أَحْسَنُ فِي عَيْنِي مِنَ الْقَمَرِ.[3]

وعَـنْ جَابِرِ بْـنِ سَمُرَةَ رَضِـي اللهُ عنه قَـالَ: صَلَّيْتُ مَـعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ صَـلاَةَ الأُولَـى ثُمَّ خَرَجَ إِلَى أَهْلِهِ وَخَرَجْـتُ مَعَهُ، فَاسْتَقْبَلَهُ وِلْدَانٌ فَجَعَلَ يَمْسَحُ خَدَّيْ أَحَدِهِمْ وَاحِدًا وَاحِدًا، وَأَمَّا أَنَـا فَمَسَحَ خَدِّي فَوَجَدْتُ لِيَدِهِ بَرْدًا أَوْ رِيحًـا كَأَنَّمَـا أَخْرَجَهَا مِنْ جُؤْنَةِ عَطَّارٍ.[4]

وقَـالَ كَعْـبُ بْـنُ مَالِكٍ رَضِـيَ اللهُ عنه: لمـا سَلَّمْتُ عَلَـى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهْـوَ يَبْـرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ، وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ.[5]

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه (5/211 حديث رقم 5561).

(2) أخرجه مسلم في صحيحه (4/1819 رقم 2337).

(3) أخرجه الدارمي في سننه (1/44 رقم 57). والطبراني في المعجم الكبير (2/206 رقم 1842).

(4) أخرجه مسلم في صحيحه (4/1814 رقم 2329)

(5) أخرجه البخاري في صحيحه (3/1305 رقم 3363).

وَسَــأَلَ أَبُو عُبَيْدَةَ حَفِيدُ عَمَّارِ بْــنِ يَاسِرٍ الرُّبَيِّعَ بِنْتَ مُعَوِّذٍ رضي الله عنها أَنْ صِفِي لَنَـا رَسُولَ اللهِ ﷺ. فَقَالَتْ: يَا بُنَيَّ لَوْ رَأَيْتَهُ رَأَيْتَ الشَّمْسَ طَالِعَةً.[1]

وَعَــنْ أَبِــي هُرَيْرَةَ قَالَ: مَا رَأَيْتُ شَيْئًــا أَحْسَنَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَأَنَّ الشَّمْسَ تَجْرِي فِي وَجْهِهِ.[2]

وَقَــالَ هِنْــدُ بْــنُ أَبِي هَالَــةَ وَاصِفًــا رَسُــولَ اللهِ ﷺ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَخْمًا مُفَخَّمًا، يَتَلَأْلَأُ وَجْهُهُ تَلَأْلُؤَ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ.[3]

وعَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قَــالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَبْيَضَ مُشْرَبًا بَيَاضُهُ حُمْـرَةً، وَكَانَ أَسْوَدَ الْحَدَقَةِ أَهْدَبَ الأَشْفَارِ لاَ قَصِيرٌ وَلاَ طَوِيلٌ، كَأَنَّ عَرَقَهُ اللُّؤْلُؤُ، لَمْ أَرَ قَبْلَهُ وَلاَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ.[4]

وقَــالَ أَنَسٌ رَضِــيَ اللهُ عنه: مَــا شَمِمْـتُ عَنْبَـرًا قَـطُّ وَلاَ مِسْكًا وَلاَ شَيْئًا أَطْيَبَ مِنْ رِيحِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلاَ مَسِسْتُ شَيْئًا قَطُّ دِيبَاجًا وَلاَ حَرِيرًا أَلْيَنَ مَسًّا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ.[5]

---

(1) أخرجه الدارمي في سننه (1/44 رقم 60) والطبراني في المعجم الكبير (24/274 رقم 696)

(2) أخرجه أحمد في مسنده (2/380 رقم 8930) وابن حبان في صحيحه (14/215 رقم 6309) والترمذي في الشمائل ص 112.

(3) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (1/422) والطبراني في المعجم الكبير (22/155 رقم 414) والبيهقي في شعب الإيمان (2/154 رقم 1430).

(4) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (412/1) والضياء المقدسي في المختارة (2/316 رقم 695) وقال: إسناده حسن.

(5) أخرجه مسلم في صحيحه (4/1814 رقم 2330).

ومدح البوصيري رسول الله ﷺ في بردته قائلاً:

فَاقَ النَّبِيِّينَ فِـي خَلْقٍ وَفِي خُلُقٍ ... وَلَـمْ يُدَانُوهُ فِي عِلْمٍ وَلاَ كَرَمِ

وَكُلُّهُـمْ مِـنْ رَسُـولِ اللهِ مُلْتَمِـسٌ ... غَرْفاً مِنَ البَحْرِ أَوْ رَشْفاً مِنَ الدِّيَمِ

وَوَاقِفُـونَ لَدَيْـهِ عِنْدَ حَدِّهِـمُ ... مِنْ نُقْطَةِ الْعِلْمِ أَوْ مِنْ شَكْلَةِ الحِكَمِ

فَهُـوَ الَّذِي تَمَّ مَعْنَـاهُ وَصُورَتُـهُ ... ثُمَّ اصْطَفَاهُ حَبِيبـاً بَارِئُ النَّسَـمِ

مُنَزَّهٌ عَنْ شَرِيـكٍ فِي مَحَاسِنِـهِ ... فَجَوْهَرُ الْحُسْنِ فِيهِ غَيْرُ مُنْقَسِمِ

ومدح أحمد شوقي رسول الله ﷺ بقصيدته الجميلة:

وُلِـدَ الهُـدَى فَالكَائِنَـاتُ ضِيَاءُ ... وَفَـمُ الزَّمَـانِ تَبَسُّـمٌ وَثَنَاءُ

الـرُّوحُ وَالمَـلأُ المَلائِـكُ حَوْلَـهُ ... لِلدِّيـنِ وَالدُّنْيَـا بِـهِ بُشَـرَاءُ

بِـكَ بَشَّـرَ اللهُ السَّمَـاءَ فَزُيِّنَـتْ ... وَتَضَوَّعَـتْ مِسْكًا بِـكَ الغَبْرَاءُ

يَوْمٌ يَتِيـهُ عَلَى الزَّمَـانِ صَبَاحُهُ ... وَمَسَـاؤُهُ بِمُحَمَّـدٍ وَضَّـاءُ

ذُعِرَتْ عُرُوشُ الظَّالِمِيـنَ فَزُلْزِلَتْ ... وَعَلَـتْ عَلَى تِيجَانِهِـمْ أَصْدَاءُ

2 – وكان رسول الله ﷺ أنظف الناس:

فعلَّـم أتباعـه النظافـة، وأعلمهم أنهـا ديـن، وأن الطهور شطر الإيمـان، وأن الله يحب التوابين، وهم الذين طهروا قلوبهم من رجز المعاصي، ويحب المتطهرين الذين طهروا أجسادهم استعدادًا للقاء ربهـم في الصلاة التي فرضها علـى المؤمنين كتابًا موقوتًا، فإن النظافـة في الإسلام وفي حياة رسول الإسـلام ﷺ فلسفة عامة أساسها احترام الإنسان لجسده وصيانته وحفظه واحترامه.

وقد كان رسول الله ﷺ قدوة للخلق أجمعين في الطهارة والنظافة وكانت تعاليمه نموذجًا ومثالاً على النقاء والجمال والبهاء.

إن المسلم يحتاج دائمًا وبشكل منتظم على مدار يومه أن ينظف مكانه ويستر عورته ويطهر جسده بالغسل إن خرج منه المني شهوة سواء بسبب جماع زوجته أو باحتلامه، وبالوضوء إن تبول أو تغوط أو أخرج ريحًا، وكل ذلك استعدادًا للصلوات الخمس المفروضات، والتي يشترط فيها كل ما سبق من أمور، من شأن من حرص على إقامتها والالتزام بها أن يصير الإنسان جميلاً نظيفًا طاهرًا وكذلك البيئة من حوله.

وقد جعل سبحانه وتعالى من صفات عباده المؤمنين الصالحين الذين يعمرون بيوته بالخير والإخلاص والعمل الصالح أنهم يحبون التطهر، سواء التطهر من أدران الأوساخ التي تعلق بالجسد أو الأوساخ التي تعلق بالروح والقلب من أثر ارتكاب الشرور والمعاصي والفساد. قال تعالى: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾[1]

وقد أكدت سيرة النبي ﷺ على الطهارة والنظافة بمظاهرها المختلفة التي تشمل المكان والإنسان:

---

(1) سورة التوبة: آية 108.

أولاً: طهارة المكان أو البيئة:

فتراه ﷺ منع من تلويث البيئة. ومن ذلك:

1 – عَـنْ أَبِي بَرْزَةَ قَـالَ: قُلْتُ: يَـا نَبِـيَّ اللهِ، عَلِّمْنِي شَيْئًا أَنْتَفِعُ بِهِ، قَالَ: اعْزِلِ الْأَذَى عَنْ طَرِيقِ الْمُسْلِمِينَ.[1]

وعن عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّهُ خُلِقَ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْ بَنِـي آدَمَ عَلَى سِتِّينَ وَثَلَاثِمَائَةِ مَفْصِـلٍ، فَمَنْ كَبَّرَ اللهَ وَحَمِدَ اللهَ وَهَلَّلَ اللهَ وَسَبَّحَ اللهَ وَاسْتَغْفَرَ اللهَ، وَعَزَلَ حَجَرًا عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ أَوْ شَوْكَةً أَوْ عَظْمًا عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ، وَأَمَرَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ نَهَـى عَنْ مُنْكَرٍ، عَدَدَ تِلْكَ السِّتِّينَ وَالثَّلَاثِمِائَةِ السُّلَامَى؛ فَإِنَّهُ يَمْشِي يَوْمَئِذٍ وَقَدْ زَحْزَحَ نَفْسَهُ عَنِ النَّارِ».[2]

وَعَـنْ أَبِـي هُرَيْـرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «غُفِـرَ لِرَجُلٍ نَحَّى غُصْنَ شَوْكٍ عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ».[3]

2 – وَقَـالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اتَّقُوا اللَّاعِنَيْنِ»، قَالُوا: وَمَا اللَّاعِنَانِ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «الَّذِي يَتَخَلَّى فِي طَرِيقِ النَّاسِ أَوْ ظِلِّهِمْ».[4]

يَتَخَلَّى: يَتَغَوَّطُ أَوْ يَبُولُ.

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحه (4/ 2021 رقم 2618).

(2) أخرجه مسلم في صحيحه (2/ 698 رقم 1007).

(3) أخرجه أحمد في مسنده (2/ 439 رقم 9667) وابن حبان في صحيحه (2/ 297 رقم 539).

(4) أخرجه أبو داود في سننه (1/ 7 رقم 25) والحاكم في المستدرك (1/ 296 رقم 664) كلاهما عن أبي هريرة وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم وقد أخرجه عن قتيبة وله شاهد عن محمد بن سيرين بإسناد صحيح واللفظ غير هذا ولم يخرجه، والبيهقي في سننه الكبرى (1/ 97 رقم 473) وقال: رواه مسلم في الصحيح عن قتيبة

3 – وَقَـالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: «اتَّقُـوا الْمَلاَعِـنَ الثَّـلاَثَ: الْبَـرَازَ فِي الْمَوَارِدِ، وَقَارِعَةِ الطَّرِيقِ، وَالظِّلِّ». الْمَوَارِدُ: الْمَجَارِي وَالطُّرُقُ إِلَى الْمَاءِ.[1]

4 – ونهـى النبي ﷺ عن تلويث المـاء، فَنَهَـى أَنْ يُبَالَ فِي الْمَاءِ الرَّاكِدِ.[2]

والتبـول فـي الماء الراكد لا يفسـده فقط بل يجعله مستنقعًا وموطنًا لانتشار الأوبئة والأمراض.

5 – وحـرص على إشاعـة سنـة التـوازن حتى في البيئـة فنهـى عن الإسـراف في استعمـال الماء، ولو تعلـق الأمر بالعبادة كالوضـوء، فَقَـدْ مَرَّ ﷺ بِسَعْـدٍ وَهُـوَ يَتَوَضَّـأُ فَقَـالَ «مَا هَذَا السَّـرَفُ؟». فَقَالَ: أَفِي الْوُضُـوءِ إِسْرَافٌ؟ قَالَ: «نَعَمْ وَإِنْ كُنْتَ عَلَى نَهَرٍ جَارٍ».[3]

6 – وأمر ﷺ بحفظ الطعام والشراب من الجراثيم فقال: «أَطْفِئُوا الْمَصَابِيـحَ إِذَا رَقَدْتُـمْ، وَغَلِّقُـوا الأَبْـوَابَ، وَأَوْكُـوا الأَسْقِيَـةَ،

(1) أخرجه أبو داود في سننه (1/ 7 رقم 26)، وابن ماجه في سننه (1/ 119 رقم 328) والحاكم في المستدرك (1/ 273 رقم 594) كلهم عن معاذ بن جبل وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه إنما تفرد مسلم بحديث العلاء عن أبيه عن أبي هريرة وأقره الذهبي.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه (1/ 235 رقم 281) عن جابر.

(3) أخرجه أحمد في مسنده (2/ 221 رقم 7065) وابن ماجه في سننه (1/ 147 رقم 425) كلاهما عن عبد الله بن عمرو بن العاص.

وَخَمِّـرُوا الطَّعَـامَ وَالشَّرَابَ، وَلَوْ بِعُودٍ تَعْرِضُهُ عَلَيْهِ». وخَمِّرُوا الآنِيَةَ أَيْ غَطُّوهَـا. [1]

7 – وَنَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يُتَنَفَّسَ فِي الإِنَـاءِ أَوْ يُنْفَخَ فِيـهِ. [2]

وذلـك لحمـايـة المــاء والطعـام من الميكرويــات المتصاعدة من الجوف.

وكـان ﷺ يشـرب علــى ثلاثــة أنفاسـ، ولا يدلـق المـاء في جوفه دفعة واحدة، وكـان يقول: «إِنَّهُ أَرْوَى وَأَبْرَأُ وَأَمْرَأُ». [3]

8 – وكـان ﷺ نموذجـًا وقـدوة لأصحابه فقـد كَانَ يَتَّبِعُ غُبَارَ الْمَسْجِدِ بِجَرِيدَةٍ. [4]

وعندمـا توفيـت المرأة التي كـانت تهتم بـالمسجد وتقوم على نظـافتـه، ولم يبــال الصحـابـة بـأمرهـا كثيرًا، فَعَافَوْا أن يُنْبِئُوا النبيَّ بـأمرهـا، ولكنهم وجدوه ﷺ يسـأل عنهـا ويفتقد دورهـا، ولمـا أعلموه بموتهـا، حزن، ووبخهم لتصغيرهم أمرهـا وعدم إعلامـه بموتهـا، بل وأكثر من ذلك ذهب بهم إلى قبرهـا، فوقف عليه وصلى عليهــا، فتبين لهم من تعظيمه شـأنهـا ومكـانتهـا قيمة الدور الذي كـانت تقوم بـه من نظافة المسجد.

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه (5/2132 حديث رقم 5301) عن جابر.

(2) أخرجه أبو داود في سننه (3/338 رقم 3728)، وابن مـاجه في سننه (2/1094 رقم 3288)، والترمذي في سننه (4/304 رقم 1888) كلهم عن ابن عباس وقـال: هذا حديث حسن صحيح.

(3) أخرجه مسلم في صحيحه (3/1602 رقم 2028) عن أنس بن مـالك.

(4) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (1/349 رقم 4019) عن يعقوب بن زيد.

رَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنه أَنَّ امْرَأَةً سَوْدَاءَ كَانَتْ تَقُمُّ الْمَسْجِدَ فَفَقَدَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَسَأَلَ عَنْهَا فَقَالُوا: مَاتَتْ. قَالَ: «أَفَلاَ كُنْتُمْ آذَنْتُمُونِي». قَالَ: فَكَأَنَّهُمْ صَغَّرُوا أَمْرَهَا، فَقَالَ: «دُلُّونِي عَلَى قَبْرِهَا». فَدَلُّوهُ، فَصَلَّى عَلَيْهَا، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الْقُبُورَ مَمْلُوءَةٌ ظُلْمَةً عَلَى أَهْلِهَا، وَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُنَوِّرُهَا لَهُمْ بِصَلاَتِي عَلَيْهِمْ».[1]

9 – وإن أصيب المكان بعطب كأن انتشر فيه مرض أو فيروس مهلك ينتشر بين الناس بسرعة ولا قبل لهم بمقاومته، فإن رسول الله ﷺ هُدِيَ وَعَلَّمَ أصحابه فكرة الحجر الصحي، أي عزل المكان الذي أصيب بالمرض، وأمر أتباعه إن انتشر المرض وهم في المكان فلا يخرجوا منه حتى لا ينشروه في غيره وحتى يجتهدوا في البحث عن علاج له والتداوي منه، ومن كان خارج المكان فلا يدخل فيه كي لا يُهْلِكَ نفسه، بل يبقى في خارجه ولكن يجتهد في البحث عن خلاص لمن يفتك بهم المرض حتى يرسل لهم علاجًا يشفيهم.

فقد أمر النبي ﷺ أصحابه أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ –يَعْنِي الطَّاعُونَ– بِأَرْضٍ فَلاَ تُقْدِمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلاَ تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ».[2]

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه (1/175 رقم 446)، ومسلم في صحيحه واللفظ له (2/659 رقم 956).

(2) أخرجه البخاري في صحيحه (5/2164 رقم 5398)، ومسلم في صحيحه (4/1742 رقم 2219) كلاهما عن عبد الرحمن بن عوف.

ثانيًا: طهارة الإنسان:

فقد حثنا النبي ﷺ على المواظبة في طهارة البدن وما يتعلق به:

فأمر بطهارة الثوب:

1 – قال تعالى آمرًا نبيه بتطهير ثوبه: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾[1]

2 – وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ». قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً.

قَالَ: «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ».[2]

3 – وقال رسولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّكُمْ قَادِمُونَ عَلَى إِخْوَانِكُمْ، فَأَصْلِحُوا رِحَالَكُمْ وَأَصْلِحُوا لِبَاسَكُمْ حَتَّى تَكُونُوا كَأَنَّكُمْ شَامَةٌ فِي النَّاسِ؛ فَإِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْفُحْشَ وَلاَ التَّفَحُّشَ».[3]

فينبغي أن تكون شخصية المسلم متميزة بجمالها وكمالها.

وأمر ﷺ بنظافة اليد:

1 – قال ﷺ: «بَرَكَةُ الطَّعَامِ الْوُضُوءُ قَبْلَهُ وَالْوُضُوءُ بَعْدَهُ».[4]

---

(1) سورة المدثر: آية 4.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه (1/93 رقم 91) عن عبد الله بن مسعود.

(3) أخرجه أبو داود في سننه (4/58 رقم 4087)، وأحمد في مسنده (4/179 رقم 17659) والطبراني في المعجم الكبير (6/94 رقم 5616) كلهم عن أبي الدرداء.

(4) أخرجه أبو داود في سننه (3/345 رقم 3761) عن سلمان وقال أبو داوود: وهو ضعيف، والترمذي في سننه (4/281 رقم 1846) وقال: لا نعرف هذا الحديث إلا من حديث قيس بن الربيع يضعف الحديث، وأحمد في مسنده (5/441 رقم 23783)،=

والوضـوء غسل اليدين والفم من الزهومة، إطلاقًا للكل على الجـزء مجـازًا أو بنـاءً علـى المعنى اللغوي، قيـل: والحكمة أن اليـد لا تخلو عن تلوث في تعاطي الأعمال فغسلها أقرب إلى النظافة والنزاهة. والمراد من الوضوء بعد الطعام غسل اليدين والفم من الدسومات.[1]

2 – وأمر ﷺ بغسل اليد فور القيام من النوم وقبل استعمالها في شـيء، فقـال: «إِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ فَلْيُفْرِغْ عَلَى يَدِهِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ قَبْلَ أَنْ يُدْخِلَ يَدَهُ فِي إِنَائِهِ؛ فَإِنَّهُ لاَ يَدْرِى فِيمَ بَاتَتْ يَدُهُ».[2]

وأمر بنظافة الفم:

1 – وأمـر ﷺ بنظافة الفم وشدد على ذلك، حتى قال: «مَنْ أَكَلَ ثُومًـا أَوْ بَصَـلاً فَلْيَعْتَزِلْنَـا – أَوْ قَـالَ – فَلْيَعْتَـزِلْ مَسْجِدَنَـا، وَلْيَقْعُدْ فِي بَيْتِهِ».[3]

ومعنى ذلك أنه من لم يحافظ على نظافة فمه وعلى طيب رائحته فسيحرم من الجماعة؛ لئلا يؤذي مجاوريه في العبادة.

2 – وأمـر النبـي ﷺ بمداومـة نظافة الفـم، وكان يحرص على استعمـال السواك حتى فـي لحظاته الأخيـرة، ويلاحظ في اختيـار النبي ﷺ للسواك كوسيلة لنظافة الفم أنه مستجلب

=ونقل المناوي في فيض القدير (3/ 201) عن المنذري قال: قيس وإن كان فيه كلام لسوء حفظه لا يخرج الإسناد عن حد الحسن.

(1) عون المعبود شرح سنن أبي داود (10/ 168).

(2) أخرجه مسلم في صحيحه (1/ 233 رقم 278) عن أبي هريرة.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه(1/ 292 رقم 817)، ومسلم في صحيحه (1/ 394 رقم 564) كلاهما عن جابر بن عبد الله.

مـن النبـات فهو متوافق مـع الإنسان، ويحقـق طهارة الفم والأسنان واللثة، وسهل الاستعمال والحمل، ومتوافر بكثرة، ورخيص الثمن.

وقال ﷺ عن السواك: «مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ، مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ».[1]

وقَـالَ «لَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِـي – أَوْ عَلَى النَّاسِ – لأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلاَةٍ».[2]

وأمر بنظافة الشعر:

1 – قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كَانَ لَهُ شَعْرٌ فَلْيُكْرِمْهُ».[3]

2 – ومثلـه مـا روي أَنَّ أَبَا قَتَادَةَ الأَنْصَارِيَّ قَالَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: إِنَّ لِي جُمَّةً أَفَأُرَجِّلُهَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «نَعَمْ وَأَكْرِمْهَا». فَـكَانَ أَبُو قَتَادَةَ رُبَّمَـا دَهَنَهَا فِي الْيَوْمِ مَرَّتَيْـنِ؛ لِمَا قَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَأَكْرِمْهَا».[4]

3 – وَكَانَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ فِـي الْمَسْجِدِ فَدَخَلَ رَجُـلٌ ثَائِرَ الرَّأْسِ وَاللِّحْيَـةِ، فَأَشَـارَ إِلَيْهِ رَسُـولُ اللهِ ﷺ بِيَدِهِ أَنِ اخْـرُجْ، كَأَنَّهُ يَعْنِـي إِصْلاَحَ شَعَرِ رَأْسِهِ وَلِحْيَتِـهِ، فَفَعَلَ الرَّجُـلُ، ثُمَّ رَجَعَ،

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه (1/682 رقم 7) عن عائشة.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه (1/303 رقم 847) واللفظ له، ومسلم في صحيحه (1/220 رقم 252) كلاهما عن أبي هريرة.

(3) أخرجه أبو داود في سننه (4/76 رقم 4163) والطبراني في المعجم الأوسط (8/230 رقم 8485) كلاهما عن أبي هريرة. قال في فيض القدير (6/208) وقال الحافظ ابن حجر في الفتح: إسناده حسن.

(4) موطأ مالك (2/949 رقم 1701) عن أبي قتادة الأنصاري.

فَقَـالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: «أَلَيْسَ هَذَا خَيْرًا مِـنْ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدُكُمْ ثَـائِرَ الرَّأْسِ كَأَنَّهُ شَيْطَانٌ».[1]

4 – وَعَـنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: أَتَانَـا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَرَأَى رَجُلاً شَعِثًـا قَدْ تَفَرَّقَ شَعْرُهُ، فَقَالَ: «أَمَا كَانَ يَجِدُ هَذَا مَا يُسَكِّنُ بِهِ شَعْرَهُ». وَرَأَى رَجُلاً آخَرَ وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ وَسِخَةٌ، فَقَالَ: «أَمَا كَانَ هَذَا يَجِدُ مَاءً يَغْسِلُ بِهِ ثَوْبَهُ».[2]

ومـن الأوامر الجامعة لأمور النظافة الشخصية للجسد ما رواه ابْـنُ عُمَرَ –رضي الله عنهما– أَنَّ رَسُـولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مِنَ الْفِطْرَةِ حَلْقُ الْعَانَةِ، وَتَقْلِيمُ الأَظْفَارِ، وَقَصُّ الشَّارِبِ»[3].

وكان رسـول الله محبًا للطيـب، يقول أَنَسٌ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ لاَ يَرُدُّ الطِّيبَ[4].

وروى أبـو هُرَيْـرَةَ أن رَسُـولَ اللهِ ﷺ قَـالَ: «مَـنْ عُرِضَ عَلَيْهِ رَيْحَانٌ فَلاَ يَرُدَّهُ فَإِنَّهُ خَفِيفُ الْمَحْمِلِ طَيِّبُ الرِّيحِ»[5].

---

(1) موطأ مالك (2/949 رقم 1702) عن عطاء بن يسار مرسلاً.

(2) أخرجه أبو داود في سننه (4/51 رقم 4062) والنسائي في سننه (8/183 رقم 5236) والحاكم في المستدرك (4/206 رقم 7380) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه (رقم 5890).

(4) أخرجه البخاري في صحيحه (2/912 رقم 2443).

(5) أخرجه مسلم في صحيحه (4/1766 رقم 2253).

وقَالَتْ عَائِشَةُ: كُنْتُ أُطَيِّبُ النَّبِيَّ ﷺ بِأَطْيَبِ مَا يَجِدُ، حَتَّى أَجِدَ وَبِيصَ الطِّيبِ فِي رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ.[1] وَبِيصَ الطِّيبِ: لَمَعَانَهُ.

وكان ﷺ يأمر بالغسل يوم الجمعة، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عنهما – أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الْجُمُعَةَ فَلْيَغْتَسِلْ».[2]

ثالثًا: ولما اتصف به من معالي الأخلاق الحميدة قبل البعثة وبعدها:

ومن ذلك أنه ﷺ:

أ- كان واصلاً للرحم ناصرًا للمظلوم.

اشتهر رسول الله ﷺ في مكة كلها بصفات لازمته حتى صارت علمًا يدل على شخصه الكريم، فحينما يطلق في قريش الصادق أو الأمين يُعْلَم أنه محمد ﷺ، وكذلك اتصف ﷺ بصلة الرحم، ومساعدة الضعيف واليتيم والمظلوم، فقد شارك النبي ﷺ في حلف الفضول مع بني هاشم حيث تعاهدوا بالله لنكونن مع المظلوم حتى يُؤَدَّى إليه حقه، وتعاهدوا على التأسي في المعاش. وقال رسول الله ﷺ عن هذا الحلف بعد البعثة: «مَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِحِلْفٍ حَضَرْتُهُ بِدَارِ ابْنِ جُدْعَانَ حُمْرَ النَّعَمِ وَأَنِّي أَغْدِرُ بِهِ».[3]

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه (2214/5 رقم 5579).

(2) أخرجه البخاري في صحيحه (1/299 رقم 837) واللفظ له، ومسلم في صحيحه (579/2 رقم 844).

(3) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (1/129).

وكذلك وصفتــه زوجه السيدة خديجة عليهــا السلام، قـالت: كَلَّا، أَبْشِرْ، فَوَاللهِ لَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا، فَوَاللهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ.[1] تَحْمِلُ الْكَلَّ أي تُنْفِقُ عَلَى الضَّعِيفِ وَالْيَتِيمِ.

ب – وكان رسول الله ﷺ دائم البِشْر سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب ولا فحــاش ولا عياب ولا مــداح، وكان لا يذم أحدًا ولا يعيـــره، ولا يطلب عورته، ولا يتكلم إلا فيما رجا ثوابـــه، وإذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رءوسهم الطيـــر، وإذا تكلم سكتوا، وإذا سكت تكلمـــوا، ولا يتنازعــون عنده الحديث، مــن تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغ.

جـ – وكان ﷺ عادلا حكيمًا.

فقبل البعثة أجمعت القبائل على حكمة النبي ﷺ ونزاهة حكمه وأمانة فعله، وأنه يستطيع بفطنته أن يخرجها من شر مستطير وحرب مهلكة، حين أوشكوا أن يقعوا فيها عندما تنازعوا شرف وضع الحجر الأسود في مكانه من بناء الكعبة.

قَــالَ ابْــنُ إِسْحَـاقَ: ثُــمَّ إِنَّ الْقَبَـائِلَ مِــنْ قُرَيْشٍ جَمَعَـتِ الْحِجَارَةَ لِبِنَائِهَــا، كُلُّ قَبِيلَةٍ تَجْمَعُ عَلَى حِدَةٍ ثُمَّ بَنَوْهَا، حَتَّى بَلَغَ الْبُنْيَانُ مَوْضِـعَ الرُّكْـنِ فَاخْتَصَمُـوا فِيهِ كُلُّ قَبِيلَـةٍ تُرِيـدُ أَنْ تَرْفَعَهُ إِلَى

---

(1) أخرجه البخاري(6/ 173)، رقم (5005)، ومسلم في صحيحه (1/ 139)، رقم (160).

مَوْضِعِهِ دُونَ الأُخْرَى، حَتَّى تَحَاوَزُوا وَتَحَالَفُوا، وَأَعَدُّوا لِلْقِتَالِ فَقَرَّبَتْ بَنُو عَبْدِ الدَّارِ جَفْنَةً مَمْلُوءَةً دَمًا، ثُمَّ تَعَاقَدُوا هُمْ وَبَنُو عَدِيِّ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ عَلَى الْمَوْتِ فَسُمُّوا لَعَقَةَ الدَّمِ. فَمَكَثَتْ قُرَيْشٌ عَلَى ذَلِكَ أَرْبَعَ لَيَالٍ أَوْ خَمْسًا، ثُمَّ إِنَّهُمْ اجْتَمَعُوا فِي الْمَسْجِدِ وَتَشَاوَرُوا وَتَنَاصَفُوا.

فقالوا: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، اجْعَلُوا بَيْنَكُمْ فِيمَا تَخْتَلِفُونَ فِيهِ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ مِنْ بَابِ هَذَا الْمَسْجِدِ يَقْضِي بَيْنَكُمْ فِيهِ فَفَعَلُوا. فَكَانَ أَوَّلَ دَاخِلٍ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَلَمَّا رَأَوْهُ قَالُوا: هَذَا الْأَمِينُ، رَضِينَا، هَذَا مُحَمَّدٌ؛ فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهِمْ وَأَخْبَرُوهُ الْخَبَرَ قَالَ ﷺ: «هَلُمَّ إِلَيَّ ثَوْبًا». فَأُتِيَ بِهِ، فَأَخَذَ الرُّكْنَ فَوَضَعَهُ فِيهِ بِيَدِهِ. ثُمَّ قَالَ: «لِتَأْخُذْ كُلُّ قَبِيلَةٍ بِنَاحِيَةٍ مِنْ الثَّوْبِ ثُمَّ ارْفَعُوهُ جَمِيعًا». فَفَعَلُوا، حَتَّى إِذَا بَلَغُوا بِهِ مَوْضِعَهُ وَضَعَهُ هُوَ بِيَدِهِ، ثُمَّ بَنَى عَلَيْهِ.[1]

وفي الإسلام أرسى النبي ﷺ دعائم الحرية والعدالة بين الناس جميعًا.

فعن عائشة –رضي الله عنها– أن قريشًا أهمَّهم شأنُ المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة حِبُّ رسول الله ﷺ؟ فكلمه أسامة، فقال رسول الله ﷺ: «أتشفع في حدٍّ من حدود الله؟» ثم قام،

---

(1) سيرة ابن إسحاق ص 119.

فاختطبَ، فقال: «أيها الناس إنما أهلكَ الذينَ قبلَكُم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركــوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحدَّ وايمُ الله لو أن فاطمة بنت محمَّد سرقت لقطعت يدها».[1]

د - وكــان صادقــا أمينـــا.

فعلى الرغم من أن القرشيين أشاعوا على رسول الله ﷺ تهمتي الكذب والجنون بعد البعثة فــإنَّ أفعالهم كانت تكذب أقوالهم؛ لأنهــم لم يجدوا فيهم مــن يستـأمنونه علــى ودائعهم إلا رسول الله، وكان ﷺ وفيًّــا لعهودهــم موفيًا لأماناتهــم إلى آخر يوم لــه في مكة قبل الهجــرة برغم ما لاقاه منهم هو وأصحابه من صلف وعنت وتعذيب وقتل وسلب.

حيــث أَخَّـرَ رسول الله ﷺ عليًّــا ابن عمه عن الهجــرة وَأَمَرَهُ أَنْ يَتَخَلَّـفَ بَعْدَهُ بِمَكَّةَ حَتَّى يُـؤَدِّيَ عَنْهُ الْوَدَائِعَ الَّتِــي كَانَتْ عِنْدَهُ لِلنَّـاسِ، وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ لَيْسَ بِمَكَّةَ أَحَدٌ عِنْدَهُ شَيْءٌ يُخْشَى عَلَيْهِ إلّا وَضَعَهُ عِنْدَهُ لِمَا يُعْلَمُ مِنْ صِدْقِهِ وَأَمَانَتِهِ ﷺ.[2]

هـ - وكان رفيقًا رحيمًا بالناس جميعًا.

فكم من مرة طُلِبَ منه أن يدعو على المشركين فيدعو لهم.

فعــن أبــي هريرة قال: قيل: يــا رسول الله ادعُ علــى المشركين.

قال: «إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً».[3]

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه (3/1282) رقم (3288)، ومسلم في صحيحه (3/1315) رقم (1688).

(2) السيرة النبوية (3/ 11).

(3) أخرجه مسلم في صحيحه (4/ 2006 رقم 2599).

وجـاء الطفيل بن عمـرو الدوسي إلى رسـول الله ﷺ، فقال: يا رسـول الله، إن دوسًـا قد عصت وأبت، فـادع الله تعالى عليهم. فـاستقبـل القبلـة، فرفـع يده، فقـال النـاس: هلكـوا اليوم. فقال رسول الله ﷺ: «اللـهمَّ اهْدِ دَوْسًا، وأْتِ بِهِمْ جَمِيعًا» ثلاثًا.[1]

فـالصحابـي الطفيل بن عمرو يطلب مـن رسول الله الدعاء على قومــه وأهله، لما وجده من عنتهم وجحودهم وشدة عصيانهم، ولكــن رسـول الله ﷺ كان أرحم وأرفق بهم منــه فلم يفعل، بل دعا لهم بـالهداية والرحمة.

وكان يقـول ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَـدِهِ لاَ يَضَعُ اللهُ رَحْمَتَهُ إِلاَّ عَلَى رَحِيمٍ». قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ فَكُلُّنَـا رَحِيمٌ. قَالَ: «لَيْسَ الَّذِي يَرْحَمُ نَفْسَهُ خَاصَّةً، وَلَكِنِ النَّبِي يَرْحَمُ النَّـاسَ عَامَّةً».[2]

وعلــى الرغـم مـن كل مــا لاقــاه رسـول الله ﷺ مـن أذى المشركيـن في مكة والطائـف فإنه كان مشفقًـا عليهم رحيمًا بهـم، يؤثر العفـو على المؤاخذة، ولم يسـأل ربه يومًا هلاكهم، ولو فعل لأجيب.

فعَـنْ عَائِشَـةَ –رضـى الله عنهـا– زَوْجِ النَّبِـي ﷺ –قَالَـتْ لِلنَّبِـيِّ ﷺ: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ ؟ قَالَ: «لَقَدْ لَقِيـتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدُّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ،

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه (3/ 1073 رقم 2779).

(2) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (7/ 479 رقم 11060) عن أنس.

إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلاَلٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلاَّ وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ. فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ. ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمِ الأَخْشَبَيْنِ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا».[1]

ولا يغيب عنا الصحابي الذي ارتكب الإثم والمعصية وكان يحب رسول الله ﷺ وكان رسول الله ﷺ يقدر له ذلك فينهى عن لعنه أو سبه؛ رحمة به ورفقًا بحاله.

فعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَنَّ رَجُلاً عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ كَانَ اسْمُهُ عَبْدَ اللهِ، وَكَانَ يُلَقَّبُ حِمَارًا، وَكَانَ يُضْحِكُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ جَلَدَهُ فِي الشَّرَابِ، فَأُتِيَ بِهِ يَوْمًا فَأَمَرَ بِهِ فَجُلِدَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: اللَّهُمَّ الْعَنْهُ مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لاَ تَلْعَنُوهُ، فَوَاللهِ مَا عَلِمْتُ إِلاَّ أَنَّهُ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ».[2]

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه (3/ 1180 رقم 3059).

(2) أخرجه البخاري في صحيحه (6/ 2489 رقم 6398). ومسلم في صحيحه (3/ 1420) رقم (1795).

ولقد كان عطاء رسول الله ﷺ وجوده وكرمه وصبره ورفقه سببًا في تمكن حبه من قلوب العباد، وسببًا في تحول مر الكراهية في قلوب المشركين إلى حلاوة الحب وجماله.فعَنْ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ قَالَ: أَعْطَانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ، وَإِنَّهُ لأَبْغَضُ الْخَلْقِ إِلَيَّ، فَمَا زَالَ يُعْطِينِي حَتَّى إِنَّهُ لأَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَيَّ.[1]

وعن أبي هُرَيرة أن أعرابيًا جاء إلى النبي ﷺ يستعينه في شيء، فأعطاه رسول الله ﷺ شيئًا ثم قال: «أحسنت إليك ؟» قال الأعرابي: لا، ولا أجملت. فغضب بعض المسلمين، وهموا أن يقوموا إليه، فأشار النبي ﷺ أن كفوا، فلما قام النبي ﷺ وبلغ إلى منزله دعا الأعرابي إلى البيت، فقال له: «إنك جئتنا فسألتنا فأعطيناك فقلت ما قلت». فزاده رسول الله ﷺ شيئًا فقال: «أحسنت إليك ؟» فقال الأعرابي: نعم، فجزاك الله من أهل وعشير خيرًا.

فقال النبي ﷺ: «إنك كنت جئتنا فسألتنا فأعطيناك، فقلت ما قلت، وفي نفس أصحابي عليك من ذلك شيء، فإذا جئت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب عن صدورهم». قال: نعم.

فلما جاء الأعرابي قال رَسُول الله ﷺ: «إن صاحبكم كان جاءنا فسألنا فأعطيناه، فقال ما قال، وإنا قد دعوناه فأعطيناه فزعم أنه قد رضي، أكذلك ؟ قال الأعرابي: نعم، فجزاك الله من أهل وعشير خيرًا.

---

(1)أخرجه أحمد في مسنده (6/465 رقم 27679) والطبراني في المعجم الكبير (8/51 رقم 7340)، والترمذي في صحيحه (3/53 رقم 666).

قال أبو هُرَيرة: فقال النبي ﷺ: «إن مثلي ومثل هذا الأعرابي كمثل رجلٍ كانت له ناقة فشردت عليه، فاتبعها الناس فلم يزيدوها إلاَّ نفورًا، فقال لهم صاحب الناقة: خلوا بيني وبين ناقتي، فأنا أرفق بها وأعلم بها. فتوجه إليها صاحب الناقة فأخذ لها من قتام الأرض ودعاها حتى جاءت واستجابت، وشد عليها رحلها، واستوى عليها، وإني لو أطعتكم حيث قال ما قال لدخل النار».(1)

وكان رسول الله ﷺ رحيمًا رفيقًا بأمته في أمر الموعظة والتكليف.

فكانت موعظته هينةً يسيرة على فترات كما يروي ابْنُ مَسْعُودٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِى الأَيَّامِ، كَرَاهَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا.(2)

وأما عن التكليف فإنه كان ينهى عن الوصال في القيام والصيام رحمة بأصحابه وأمته، في الوقت الذي يفعل هو ذلك وكان الله يعينه ويقويه.

فعن عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يُصَلِّى بَعْدَ الْعَصْرِ وَيَنْهَى عَنْهَا، وَيُوَاصِلُ وَيَنْهَى عَنِ الوِصَالِ.(3)

---

(1) أخرجه البزار في مسنده (2/465) وابن كثير في تفسيره (2/405) وضعَّف إسناده.
(2) أخرجه البخاري في صحيحه (1/38 رقم 68).
(3) أخرجه أبو داود في سننه (2/25 رقم 1280) والبيهقي في سننه الكبرى (2/458 رقم 4195).

وكان ينهى أصحابه عن كثرة السؤال مخافة أن ينزل تشريع يكون فيه تشديد، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ فَحُجُّوا». فَقَالَ رَجُلٌ: أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللهِ. فَسَكَتَ، حَتَّى قَالَهَا ثَلاَثًا فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجَبَتْ وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ، ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلاَفِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ».(1)

وكان في اختياره ﷺ يختار التيسير والرفق دون المشقة. فكان ﷺ يحب استخدام السواك ويحرص عليه، ولكنه آثر ألا يشق على أمته فيأمرهم به عند كل صلاة.

فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ: «لَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِى لأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلاَةٍ».(2)

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: مَا خُيِّرَ النَّبِىُّ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلاَّ اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَأْثَمْ، فَإِذَا كَانَ الإِثْمُ كَانَ أَبْعَدَهُمَا مِنْهُ، وَاللهِ مَا انْتَقَمَ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ يُؤْتَى إِلَيْهِ قَطُّ، حَتَّى تُنْتَهَكَ حُرُمَاتُ اللهِ، فَيَنْتَقِمُ لِلَّهِ.(3)

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحه (2/975 رقم 1337).

(2) أخرجه مسلم في صحيحه (1/220 رقم 252) واللفظ له.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه (6/2491 رقم 6404)..

ومـن رحمته بمن شهده وعاصره أنه دعا لكل من سبه أو لعنه ولم يكن أهلاً لذلك بالرحمة والأجر.

فعَـنْ أَبِـي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَـالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «اللَّهُمَّ إِنَّمَـا أَنَا بَشَرٌ فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ سَبَبْتُهُ أَوْ لَعَنْتُهُ أَوْ جَلَدْتُهُ فَاجْعَلْهَا لَهُ زَكَاةً وَرَحْمَةً».[1]

و - وكان شديد التواضع والرفق:

فَعَـنْ أَبِي مَسْعُودٍ قَـالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ فَكَلَّمَـهُ فَجَعَلَ تُرْعَدُ فَرَائِصُـهُ، فَقَالَ لَـهُ: «هَوِّنْ عَلَيْكَ؛ فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ، إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ».[2]

والْقَدِيدُ هو اللَّحْمُ الْمُمَلَّحُ الْمُجَفَّفُ فِي الشَّمْسِ.

وَعَـنْ سَعْـدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ: اسْتَـأْذَنَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَلَى رَسُـولِ اللهِ ﷺ، وَعِنْـدَهُ نِسْوَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ يُكَلِّمْنَـهُ وَيَسْتَكْثِرْنَهُ، عَالِيَةٌ أَصْوَاتُهُنَّ عَلَى صَوْتِهِ فَلَمَّا اسْتَأْذَنَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قُمْنَ فَبَـادَرْنَ الْحِجَابَ فَـأَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَدَخَـلَ عُمَرُ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يَضْحَكُ، فَقَالَ عُمَرُ: أَضْحَكَ اللهُ سِنَّكَ يَا رَسُولَ اللهِ. فَقَالَ النَّبِـيُّ ﷺ: «عَجِبْتُ مِـنْ هَؤُلَاءِ اللاَّتِـي كُنَّ عِنْدِي فَلَمَّـا سَمِعْنَ

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحه (4/ 2007 رقم 2601).

(2) أخرجه ابن ماجه (2/ 1101 رقم 3312) والحاكم في المستدرك (3/ 50 رقم 4366)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

صَوْتَـكَ ابْتَـدَرْنَ الْحِجَابَ». فَقَالَ عُمَـرُ: فَأَنْتَ أَحَـقُّ أَنْ يَهَبْنَ يَا رَسُـولَ اللهِ. ثُمَّ قَالَ عُمَرُ: يَا عَدُوَّاتِ أَنْفُسِهِـنَّ، أَتَهَبْنَنِي وَلاَ تَهَبْنَ رَسُـولَ اللهِ ﷺ؟ فَقُلْنَ: نَعَمْ، أَنْتَ أَفَظُّ وَأَغْلَظُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِيهًا يَا بْنَ الْخَطَّابِ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ سَالِكًا فَجًّا قَطُّ إِلاَّ سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ».[1]

وعَـنْ عَائِشَـةَ زَوْجِ النَّبِـيِّ ﷺ عَنِ النَّبِـيِّ ﷺ قَـالَ: «إِنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلاَّ زَانَهُ وَلاَ يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ شَانَهُ».[2]

ز - وكان بسيطًا في حياته ومعيشته ومعاملته:

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: كَانَتْ ضِجْعَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ أَدَمٍ حَشْوُهَا لِيفٌ. ضِجْعَةُ رَسُولِ اللهِ: يُقْصَدُ بِهَا فِرَاشُ نَوْمِهِ.

وَعَنْهَا قَالَتْ: كَانَ وِسَادَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ الَّتِي يَنَامُ عَلَيْهَا بِاللَّيْلِ مِنْ أَدَمٍ حَشْوُهَا لِيفٌ.[3]

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: مَا عَابَ النَّبِيُّ ﷺ طَعَامًا قَطُّ، إِنِ اشْتَهَاهُ أَكَلَهُ، وَإِنْ كَرِهَهُ تَرَكَهُ.[4]

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه (3/1347).

(2) أخرجه مسلم في صحيحه (4/2004 رقم 2594).

(3) أخرجه أبو داود في سننه (4/71 رقم 4146) واللفظ له، والترمذي في سننه (4/644 رقم 2469).

(4) أخرجه البخاري في صحيحه (5/2065 رقم 5093) واللفظ له، ومسلم في صحيحه (3/1632 رقم 2064).

وقَالَـتِ السيـدةُ عَائِشَـةُ: إِنْ كُنَّـا آلَ مُحَمَّـدٍ ﷺ لَنَمْكُـثُ شَهْـرًا مَا نَسْتَوْقِدُ بِنَارٍ، إِنْ هُوَ إِلاَّ التَّمْرُ وَالْمَاءُ.[1]

وعنها رَضِيَ اللهُ عنها: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَخْصِفُ نَعْلَهُ وَيَخِيطُ ثَوْبَهُ وَيَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ كَمَا يَعْمَلُ أَحَدُكُمْ فِي بَيْتِهِ.[2]

يَخْصِفُ نَعْلَهُ: يَخْرُزُهَا، مِنَ الخَصْفِ، الضَّمِّ وَالْجَمْعِ.

وقالت: كَانَ يَكُونُ فِي مَهْنَةِ أَهْلِهِ تَعْنِي خِدْمَةَ أَهْلِهِ فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلاَةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلاَةِ.[3] مِهْنَةِ أَهْلِهِ: خِدْمَتِهِمْ.

وسُئِلَـتْ: مَا كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ؟ قَالَتْ: كَانَ بَشَرًا مِنَ الْبَشَرِ يَفْلِي ثَوْبَـهُ وَيَحْلُبُ شَاتَهُ وَيَخْدُمُ نَفْسَهُ.[4] يَفْلِي ثَوْبَهُ: يَتَتَبَّعَ أَيَّ أَذَى يَلْحِقُ بِهِ.

وعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ مُنْتَصِرًا مِنْ مَظْلَمَةٍ ظُلِمَهَا قَطُّ، مَا لَمْ تُنْتَهَكْ مَحَارِمُ اللهِ، فَإِذَا انْتُهِكَ مِنْ مَحَارِمِ اللهِ شَيْءٌ كَانَ أَشَدَّهُمْ فِي ذَلِكَ غَضَبًا، وَمَا خُيِّرَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلاَّ اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ مَأْثَمًا.[5]

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحه (4/2282 رقم 2972).

(2) أخرجه أحمد في مسنده (6/167 رقم 25380)، والبخاري في الأدب المفرد ص 190 رقم 539) وابن حبان في صحيحه (14/351 رقم 6440).

(3) أخرجه البخاري في صحيحه (1/239 رقم 644).

(4) أخرجه أحمد في مسنده (6/256 رقم 26237)، وأبو يعلي في مسنده (8/286) رقم (4873)، والترمذي في الشمائل ص (282)، قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (7/158): هذا حديث صالح الإسناد.

(5) سبق تخريجه.

ح - وكان يتحمل المسئولية في رعاية أصحابه وقضاء حوائج المساكين والمحتاجين.

قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أَوْفَى: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُكْثِرُ الذِّكْرَ، وَيُقِلُّ اللَّغْوَ، وَيُطِيلُ الصَّلاَةَ، وَيُقَصِّرُ الْخُطْبَةَ، وَلاَ يَأْنَفُ أَنْ يَمْشِيَ مَعَ الأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ فَيَقْضِيَ لَهُ الْحَاجَةَ.[1]

وقَالَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ: لَمَّا أُصِيبَ جَعْفَرٌ وَأَصْحَابُهُ دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَقَدْ دَبَغْتُ أَرْبَعِينَ مَنِيئَةً، وَعَجَنْتُ عَجِينِي، وَغَسَّلْتُ بَنِيَّ وَدَهَنْتُهُمْ وَنَظَّفْتُهُمْ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ائْتِينِي بِبَنِي جَعْفَرٍ». قالت: فَأَتَيْتُهُ بِهِمْ، فَشَمَّهُمْ، وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، مَا يُبْكِيكَ، أَبَلَغَكَ عَنْ جَعْفَرٍ وَأَصْحَابِهِ شَيْءٌ؟ قَالَ: «نَعَمْ أُصِيبُوا هَذَا الْيَوْمَ». قالت: فَقُمْتُ أَصِيحُ، وَاجْتَمَعَ إِلَيَّ النِّسَاءُ، وَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى أَهْلِهِ. فَقَالَ: «لاَ تُغْفِلُوا آلَ جَعْفَرٍ مِنْ أَنْ تَصْنَعُوا لَهُمْ طَعَامًا فَإِنَّهُمْ قَدْ شُغِلُوا بِأَمْرِ صَاحِبِهِمْ».[2] والمَنِيئَةُ هي الْجِلْدُ أَوَّلَ مَا يُدْبَغُ.

---

(1) أخرجه النسائي في المجتبى (3/208 رقم 1414)، والدارمي في سننه (1/48 رقم 74)، وابن حبان في صحيحه (14/333 رقم 6423).

(2) أخرجه أحمد في مسنده (6/370 رقم 27131)، وابن ماجه في سننه (1/514 رقم 1611) والطبراني في المعجم الكبير (24/143 رقم 380) قال في مجمع الزوائد (6/161): روى ابن ماجه بعضه، رواه أحمد وفيه امرأتان لم أجد من وثقهما ولا جرحهما، وبقية رجاله ثقات.

وَعَـنْ جَـابِـرِ بْـنِ عَبْـدِ اللهِ -رَضِـيَ اللهُ عَنْهُمَـا- قَـالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِـيِّ ﷺ فِي غَزَاةٍ فَأَبْطَـأَ بِي جَمَلِي وَأَعْيَا، فَأَتَـى عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ فَقَـالَ جَابِـرٌ: فَقُلْـتُ: نَعَمْ. قَالَ: مَـا شَأْنُكَ؟ قُلْـتُ: أَبْطَأَ عَلَيَّ جَمَلِـي وَأَعْيَا، فَتَخَلَّفْتُ. فَنَزَلَ يَحْجُنُـهُ بِمِحْجَنِه، ثُمَّ قَالَ: ارْكَبْ. فَرَكِبْتُ، فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ أَكُفُّهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: تَزَوَّجْتَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: بِكْرًا أَمْ ثَيِّبًا؟ قُلْتُ: بَلْ ثَيِّبًا. قَالَ: أَفَلاَ جَارِيَةً تُلاَعِبُهَا وَتُلاَعِبُكَ؟ قُلْتُ: إِنَّ لِي أَخَوَاتٍ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَتَزَوَّجَ امْرَأَةً تَجْمَعُهُنَّ وَتَمْشُطُهُـنَّ وَتَقُـومُ عَلَيْهِـنَّ. قَـالَ: أَمَّـا إِنَّكَ قَـادِمٌ، فَـإِذَا قَدِمْتَ فَالْكَيْسَ الْكَيْسَ. ثُمَّ قَالَ: أَتَبِيعُ جَمَلَكَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. فَاشْتَرَاهُ مِنِّي بِأُوقِيَّـةٍ، ثُمَّ قَدِمَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ قَبْلِي، وَقَدِمْـتُ بِالْغَدَاةِ، فَجِئْنَا إِلَـى الْمَسْجِدِ فَوَجَدْتُهُ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ، قَالَ: آلآنَ قَدِمْتَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَـالَ: فَدَعْ جَمَلَكَ فَادْخُلْ فَصَلِّ رَكْعَتَيْـنِ. فَدَخَلْتُ فَصَلَّيْتُ، فَأَمَـرَ بِـلاَلاً أَنْ يَزِنَ لَـهُ أُوقِيَّةً، فَـوَزَنَ لِي بِـلاَلٌ فَأَرْجَحَ لِي فِي الْمِيـزَانِ، فَانْطَلَقْتُ حَتَّى وَلَّيْـتُ، فَقَالَ: ادْعُ لِي جَابِرًا. قُلْتُ: الآنَ يَـرُدُّ عَلَيَّ الْجَمَلَ. وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْهُ، قَالَ: خُذْ جَمَلَكَ وَلَكَ ثَمَنُهُ.[1]

يَحْجُنُـهُ بِمِحْجَنِهِ أي يُشِيرُ إِلَى الْجَمَـلِ بِعَصَاهُ، فَالْكَيْسَ الْكَيْسَ أي الْعَقْلَ الْعَقْلَ فِي الْجِمَاعِ.

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه (2/ 739 رقم 1991).

ط - وكان ﷺ يحن على الصغير ويلاعبه ويعلمه برفق وكذلك الضعيف والمنكسر.

فكان يأمر برحمة الصغير، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيَعْرِفْ شَرَفَ كَبِيرِنَا».(1)

وكان يعطف على الصبيان ويشعرهم بالاهتمام، فإن أَنَسَ ابْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مَرَّ عَلَى صِبْيَانٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، وَقَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَفْعَلُهُ.(2)

وكان يزورهم ويتبسط معهم في القول، فعَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا، وَكَانَ لِي أَخٌ يُقَالُ لَهُ: أَبُو عُمَيْرٍ. قَالَ: أَحْسِبُهُ فَطِيمًا، وَكَانَ إِذَا جَاءَ قَالَ: «يَا أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ». نُغَرٌ كَانَ يَلْعَبُ بِهِ، فَرُبَّمَا حَضَرَ الصَّلَاةَ وَهُوَ فِي بَيْتِنَا فَيَأْمُرُ بِالْبِسَاطِ الَّذِي تَحْتَهُ فَيُكْنَسُ وَيُنْضَحُ، ثُمَّ يَقُومُ وَنَقُومُ خَلْفَهُ فَيُصَلِّي بِنَا.(3)

وَعَنْهُ: ورُبَّمَا قَالَ لِيَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا ذَا الْأُذُنَيْنِ». يَعْنِي يُمَازِحُهُ.(4)

---

(1) أخرجه الترمذي في سننه (4/322 رقم 1920) عن عبد الله بن عمرو.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه (5/2306 رقم 5893) عن أنس.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه (5/2291 رقم 5850).

(4) أخرجه أبو داود في سننه (4/301 رقم 5002) والترمذي في سننه (4/358 رقم 1992) وقال: حديث صحيح غريب. وأحمد بن حنبل (3/117 رقم 12185).

وعنه أيضًا: كَنَّانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ بِبَقْلَةٍ كُنْتُ أَجْتَنِيهَا.[1]

كَنَّاهُ أَبَا حَمْزَةَ؛ لأَنَّ الْبَقْلَةَ الَّتِي جَنَاهَا أَنَسٌ كَانَ فِي طَعْمِهَا لَذْعٌ فَسُمِّيَتْ حَمْزَةَ بِفِعْلِهَا وَحُمُوضَتِهَا.

وكان رسول الله ﷺ يغير اسم الفتى أو الفتاة إن كان فيه إساءة أو يشير إلى معنى قبيح، فَعَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ غَيَّرَ اسْمَ عَاصِيَةَ وَقَالَ: «أَنْتِ جَمِيلَةُ».[2]

وأردف رسول الله ابن عباس وهو غلام صغير وعلمه مفاهيم إسلامية عالية، قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمًا، فَقَالَ: يَا غُلامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ».[3]

---

(1) أخرجه الترمذي في سننه (5/682 رقم 3830) وقال: هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث جابر الجعفي عن أبي نصر، وأبو نصر هو خيثمة البصري، روى عن أنس أحاديث وأحمد بن حنبل في مسنده (3/127 رقم 12308)، والطبراني في المعجم الكبير (1/239 رقم 656)، قال في مجمع الزوائد (9/325): رواه الطبراني وفيه جابر الجعفي وهو ضعيف.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه (3/1686 رقم 2139) عن ابن عمر.

(3) أخرجه الترمذي في سننه (4/667 رقم 2516) وقال: هذا حديث حسن صحيح. وأحمد في مسنده (1/307 رقم 2804) كلاهما عن ابن عباس، وفيه: كُنْتُ رديفَ النبي ﷺ فقال: «يا غلام –أو يا غُلَيم– ألا أعلمك كلمات، ينفعك الله بهنَّ؟»، فقلت: بلى.

ولذلـك فـإنــه لَمَّا قَـدِمَ النَّبِــيُّ ﷺ مَكَّــةَ اسْتَقْبَلَتْــهُ أُغَيْلِمَــةُ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَحَمَلَ وَاحِدًا بَيْنَ يَدَيْهِ وَآخَرَ خَلْفَهُ.[1] فإنهم ارتبطوا به وأحبوه.

وكان ﷺ يتقرب من الضعفاء فيرفع معنوياتهم ويقوي روحهم ويجعلهم أكثر ثقة في النفس وحبًا في الحياة وإيمانًا بالأمل.

فعَـنْ أَنَسٍ أَنَّ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ كَانَ اسْمُهُ زَاهِرًا كَانَ يُهْدِي لِلنَّبِيِّ ﷺ الْهَدِيَّةَ مِـنَ الْبَادِيَةِ فَيُجَهِّزُهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ، فَقَــالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ زَاهِرًا بَادِيَتُنَــا وَنَحْنُ حَاضِرُوهُ». وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحِبُّهُ، وَكَانَ رَجُلاً دَمِيمًا، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمًا وَهُــوَ يَبِيــعُ مَتَاعَهُ فَاحْتَضَنَهُ مِـنْ خَلْفِهِ، وَهُــوَ لاَ يُبْصِرُهُ، فَقَالَ الرَّجُـلُ: أَرْسِلْنِي، مَنْ هَــذَا؟ فَالْتَفَتَ فَعَـرَفَ النَّبِيَّ ﷺ، فَجَعَلَ لاَ يَأْلُو مَا أَلْصَقَ ظَهْـرَهُ بِصَدْرِ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ عَرَفَهُ، وَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُــولُ: «مَـنْ يَشْتَـرِي الْعَبْدَ ؟» فَقَــالَ: يَا رَسُــولَ اللهِ إِذًا وَاللهِ تَجِدُنِــي كَاسِـدًا. فَقَالَ النَّبِــيُّ ﷺ: «لَكِنْ عِنْدَ اللهِ لَسْتَ بِكَاسِدٍ» أَوْ قَالَ: «لَكِنْ عِنْدَ اللهِ أَنْتَ غَالٍ».[2]

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه (2/637 رقم 1704) عن ابن عباس.

(2) أخرجه أحمد في مسنده (3/161 رقم 12669) وابن حبان في صحيحه (13/107) وعبد الرزاق في المصنف (10/455 رقم 19688). قال في مجمع الزوائد (9/369). رواه أحمد وأبو يعلى والبزار، ورجال أحمد رجال الصحيح.

وعَنْ صُهَيْبٍ قَالَ: دخلتُ على رسول الله ﷺ بقباء، وبين أيديهم تَمْـر وبُسْـر، وأنا أشتكي إحدى عينيَّ، فرفعت التمر آكله، فقال رسـول الله ﷺ: «أتـأكلُ التَّمْـرَ على عَينَيك وأنـتَ رَمدٌ ؟» فقلت: إنمـا آكل علـى شقـي الصحيـح. وأنا أمزح مـع رسول الله ﷺ، فضحك رسول الله ﷺ حتى نظرت إلى نواجذه.[1]

وكان ﷺ يعطـي زوجاتـه فـي حضـوره فسحـة مـن البهجة والانبسـاط في الفعل، فعَنْ عَائِشَـةَ قَالَتْ: زَارَتْنَا سَـوْدَةُ يَوْمًا، فَجَلَسَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ بَيْنِي وَبَيْنَهَا، إِحْـدَى رِجْلَيْهِ فِي حِجْرِي، وَالأُخْرَى فِي حِجْرِهَا، فَعَمِلْتُ لَهَا حَرِيرَةً أَوْ قَالَتْ: خَزِيرَةً فَقُلْتُ: كُلِـي. فَأَبَتْ، فَقُلْتُ: لَتَأْكُلِـي أَوْ لأُلَطِّخَنَّ وَجْهَـكِ. فَأَبَتْ، فَأَخَذْتُ مِنَ الْقَصْعَةِ شَيْئًا فَلَطَخْتُ بِهِ وَجْهَهَا، فَرَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رِجْلَهُ مِـنْ حِجْرِهَا تَسْتَقِيدُ مِنِّـى، فَأَخَذَتْ مِنَ الْقَصْعَـةِ شَيْئًا فَلَطَخَتْ بِـهِ وَجْهِـي، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يَضْحَـكُ.[2] وَالْخَزِيـرَةُ: لَحْمٌ يُقَطَّعُ صِغَارًا وَيُصَبُّ عَلَيْهِ مَاءٌ كَثِيرٌ فَإِذَا نَضِجَ ذُرَّ عَلَيْهِ الدَّقِيقُ.

---

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (3/451 رقم 5703) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(2) أخرجه النسائي في سننه الكبرى (5/291) رقم (8917) وأبو يعلى في مسنده (7/449) رقم (4476) قال في مجمع الزوائد (4/316): رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح.

ي - وكان يحتـرم فيمن حوله رغباتهم الفطرية وحاجاتهم الطبيعية؛ فلا يكلفهم ما لا يطيقون ولا يخاطبهم إلا بما يفهمون.

مثـال ذلـك: تـزوج رسـول الله ﷺ بالسيدة عائشـة وهي جارية صغيرة تحب اللعب واللهو فلم يحنق عليها يومًا أو يتجهم لفعلها، بل على العكس كان يقرب لها ذلك اللعب ويساعدها عليه.

قَالَـتْ عَائِشَةُ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَسْتُرُنِي، وَأَنَـا أَنْظُرُ إِلَى الْحَبَشَةِ وَهُـمْ يَلْعَبُـونَ فِـي الْمَسْجِـدِ، فَزَجَرَهُمْ عُمَـرُ، فَقَـالَ النَّبِيُّ ﷺ: «دَعْهُـمْ، أَمْنًا بَنِـي أَرْفِدَةَ» [1]. يَعْنِي مِنَ الأَمْـنِ. بَنِي أَرْفِدَةَ: لَقَبٌ لِلْحَبَشَةِ.

وفـي صحيح مسلم، قـالت عائشة: وَاللهِ لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُـومُ عَلَى بَابِ حُجْرَتِي يَسْتُرُنِـي بِرِدَائِهِ؛ لِكَيْ أَنْظُرَ إِلَى لَعِبِهِمْ، ثُـمَّ يَقُومُ مِنْ أَجْلِي حَتَّى أَكُـونَ أَنَا الَّتِي أَنْصَـرِفُ. فَاقْدُرُوا قَدْرَ الْجَارِيَةِ الْحَدِيثَةِ السِّنِّ حَرِيصَةً عَلَى اللَّهْوِ [2]

فإن السيدة عائشة ملت ورغبت في الذهاب، ولكنها كانت تتدلل على رسول الله ﷺ وتريد أن ترى مدى صبره عليها وحبه لها، فكان ﷺ يقوم ولا ينصرف حتى تنصرف هي.

وعنهـا –رضـي الله عنهـا– قَالَـتْ: كُنْـتُ أَلْعَبُ بِالْبَنَـاتِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، وَكَانَ لِي صَوَاحِبُ يَلْعَبْنَ مَعِي، فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ

---

(1) أخرجه البخاري (1/335) رقم (944).

(2) أخرجه مسلم في صحيحه (2/609 رقم 892).

إِذَا دَخَـلَ يَتَقَمَّعْـنَ مِنْـهُ، فَيُسَرِّبُهُنَّ إِلَيَّ فَيَلْعَبْـنَ مَعِي.[1] البنات: العرائس. يَتَقَمَّعْنَ مِنْهُ: يَتَغَيَّبْنَ مِنْهُ وَيَدْخُلْنَ مِنْ وَرَاءِ السِّتْرِ. فَيُسَرِّبُهُنَّ: يُرْسِلُهُنَّ.

وعنهـا –رضي الله عنها– قَالَتْ: قَـدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ غَزْوَةِ تَبُـوكَ أَوْ خَيْبَـرَ وَفِي سَهْوَتِهَـا سِتْرٌ، فَهَبَّتْ رِيـحٌ فَكَشَفَتْ نَاحِيَةَ السِّتْرِ عَنْ بَنَاتٍ لِعَائِشَةَ (لُعَبٍ) فَقَالَ «مَا هَذَا يَا عَائِشَةُ؟» قَالَتْ: بَنَاتِـي. وَرَأَى بَيْنَهُـنَّ فَرَسًـا لَـهُ جَنَاحَانِ مِنْ رِقَـاعٍ، فَقَالَ «مَا هَـذَا الَّـذِي أَرَى وَسْطَهُنَّ ؟». قَالَـتْ: فَرَسٌ. قَالَ: «وَمَـا هَذَا الَّذِي عَلَيْـهِ؟». قَالَتْ: جَنَاحَانِ. قَالَ: «فَرَسٌ لَهُ جَنَاحَانِ ؟». قَالَتْ: أَمَا سَمِعْتَ أَنَّ لِسُلَيْمَانَ خَيْلاً لَهَا أَجْنِحَةٌ؟ قَالَتْ: فَضَحِكَ حَتَّى رَأَيْتُ نَوَاجِذَهُ.[2]

سَهْوَتِهَا: شَبِيهٌ بِالرَّفِّ وَالطَّاقِ يُوضَعُ فِيهِ الشَّيْءُ. رِقَاعٍ: الْخِرْقَةُ وَمَا يُكْتَبُ عَلَيْهِ.

هـذا عـن مراعاتـه ﷺ لحاجـات البشـر الفطريـة، أمـا عـن مراعاته ﷺ لطاقاتهم واحتمالهم

فعَـنْ عَائِشَةَ رضـي الله عنها قَالَتْ: خَرَجْنَـا مع رسول الله ﷺ لاَ نَـرَى إِلاَّ الْحَـجَّ، فَلَمَّا كُنَّا بِسَـرِفَ حِضْتُ، فَدَخَـلَ عَلَيَّ رَسُولُ

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه (5/2270) رقم (5779).

(2) أخرجه أبو داود في سننه (4/283) رقم (4932).

اللهِ ﷺ وَأَنَا أَبْكِي قَالَ: «إِنَّ هَذَا أَمْرٌ كَتَبَهُ اللهُ عَلَى بَنَاتِ آدَمَ، فَاقْضِي مَا يَقْضِي الْحَاجُّ، غَيْرَ أَنْ لاَ تَطُوفِي بِالْبَيْتِ».[1]

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَقَفَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ، فَجَعَلُوا يَسْأَلُونَهُ، فَقَالَ رَجُلٌ لَمْ أَشْعُرْ فَحَلَقْتُ قَبْلَ أَنْ أَذْبَحَ. قَالَ: «اذْبَحْ وَلاَ حَرَجَ». فَجَاءَ آخَرُ فَقَالَ لَمْ أَشْعُرْ فَنَحَرْتُ قَبْلَ أَنْ أَرْمِيَ. قَالَ «ارْمِ وَلاَ حَرَجَ». فَمَا سُئِلَ يَوْمَئِذٍ عَنْ شَيْءٍ قُدِّمَ وَلاَ أُخِّرَ إِلاَّ قَالَ افْعَلْ وَلاَ حَرَجَ.[2]

ك - وكان يحبهم حبًا كبيرًا.

لم يقتصر رسول الله ﷺ على بذل الحب لأصحابه، ولمن حوله؛ بل تعدى ذلك إلى تعليمهم كيف يحبون وكيف يشيع الحب بينهم، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ مِثْلُ الْوَالِدِ لِوَلَدِهِ».[3]

وكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُنَادِيهِمْ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ».[4]

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه (1/113) رقم (290).

(2) أخرجه البخاري في صحيحه (1/43 رقم (83).

(3) «... إنما أنا لكم مثل الوالد لولده» أخرجه النسائي في المجتبى (1/38 رقم 40) والدارمي في سننه (1/182 رقم 674) وابن خزيمة في صحيحه (1/43 رقم 80) وابن ماجه في سننه (1/114 رقم 313).

(4) أخرجه الدارمي في سننه (1/21) رقم (15) وابن أبي شيبة في المصنف (9/325) رقم (31/782) كلاهما عن أبي صالح مرسلًا.

قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[1].

ومن فرط شفقته ﷺ ورحمته بخلق الله جميعهم أمر الله روح القدس بنزع نصيب إبليس من تلك الرحمة؛ لسابق حكم الله فيه، وهو ما يُعرف، بحادثة شق الصدر.

وفي وقعة الأحزاب أرسل رسول الله ﷺ حذيفة بن اليمان يستطلع له أخبار القبائل التي حاصرت المدينة، وكان ذلك ليلا في يوم شديد البرد، فلم يشعر حذيفة بالبرد حتى أدى المهمة، يقول حذيفة: فَلَمَّا أَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِ الْقَوْمِ وَفَرَغْتُ قُرِرْتُ، فَأَلْبَسَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ فَضْلِ عَبَاءَةٍ كَانَتْ عَلَيْهِ يُصَلِّي فِيهَا، فَلَمْ أَزَلْ نَائِمًا حَتَّى أَصْبَحْتُ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ قَالَ: قُمْ يَا نَوْمَانُ.[2] قُرِرْتُ: وَجَدْتُ مَسَّ الْبَرْدِ.

فإن رسول الله ﷺ اهتم بأمره، ولازمه حتى نام، ثم أتاه صباحًا يطمئن عليه ويداعبه برقة، فقد كان ﷺ يحب أصحابه ويرفق بهم.

---

(1) سورة آل عمران: آية 159.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه (3/1414 رقم 1788) عن حذيفة.

وفـي موقـف مشابـه يظهر فيـه أن رسـول الله ﷺ كان أشجع الناس وأكثرهم محبة لأصحابه وغيرة عليهم وثورة وغضبًا على من اعتدى على حرماتهم وحرمات الله.

فعندمـا أتى رسـول الله ﷺ وأصحابه إلـى الحديبية محرمين يبتغـون أداء العمـرة أرسـل رسـول الله ﷺ عُثْمَـانَ إِلَـى مَكَّـةَ برسالة، فَلَقِيَهُ أَبَانُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ حِينَ دَخَلَ مَكَّةَ، أَوْ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَهَـا، فَحَمَلَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ثُـمَّ أَجَارَهُ حَتَّى بَلَّغَ رِسَالَةَ رَسُولِ الله ﷺ، فَانْطَلَـقَ عُثْمَانُ حَتَّى أَتَى أَبَـا سُفْيَانَ وَعُظَمَاءَ قُرَيْشٍ، فَبَلَّغَهُـمْ عَـنْ رَسُولِ الله ﷺ مَـا أَرْسَلَهُ بِهِ. فَقَالُـوا لِعُثْمَانَ حِينَ فَرَغَ مِنْ رِسَالَةِ رَسُولِ الله ﷺ إِلَيْهِمْ: إِنْ شِئْتَ أَنْ تَطُوفَ بِالْبَيْتِ فَطُـفْ. فَقَـالَ: مَا كُنْـتُ لِأَفْعَلَ حَتَّـى يَطُوفَ بِهِ رَسُـولُ الله ﷺ. وَاحْتَبَسَتْـهُ قُرَيْشٌ عِنْدَهَـا، فَبَلَغَ رَسُـولَ الله ﷺ وَالْمُسْلِمِينَ أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ قَدْ قُتِلَ.

فمـا كان من رسـول الله ﷺ حِينَ بَلَغَهُ أَنَّ عُثْمَانَ قَدْ قُتِلَ إلا أن قـال: لَا نَبْـرَحُ حَتَّى نُنَاجِزَ الْقَـوْمَ. فَدَعَا رَسُـولُ الله ﷺ النَّاسَ إِلَـى الْبَيْعَةِ، فَكَانَتْ بَيْعَةُ الرِّضْـوَانِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، وَكَانَ النَّـاسُ يَقُولُونَ: بَايَعَهُمْ رَسُولُ الله ﷺ عَلَى الْمَوْتِ.[1]

---

(1) السيرة النبوية (2/315).

وكان رسول الله ﷺ يوزع عليهم حبه، حتى إن كل واحد فيهم كان يظن أنه أقرب أصحابه إلى قلبه، قَالَ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ الله- رضي الله عنه: مَا حَجَبَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ مُنْذُ أَسْلَمْتُ، وَلاَ رَآنِي إِلاَّ ضَحِكَ.[1]

وكان رسول الله ﷺ ينهى أن يأتيه أحد بشيء عن أصحابه يوغر صدره على أحدهم أو يحمله على تحاشيه أو تجنبه.

فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لاَ يُبَلِّغْنِى أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِى عَنْ أَحَدٍ شَيْئًا؛ فَإِنِّى أُحِبُّ أَنْ أَخْرُجَ إِلَيْكُمْ وَأَنَا سَلِيمُ الصَّدْرِ».[2]

وصدق فيه قول ربه عز وجل: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[3]

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه (3/1390) رقم (3611)، ومسلم في صحيحه (4/1925) رقم (2475).

(2) أخرجه أبو داود في سننه (4/265 رقم 4860) وأبو يعلى في مسنده (9/266 رقم 5388) والبزار في مسنده (5/406).

(3) سورة التوبة: آية 128.

ثانيًا

مشاهد الحب في سيرة رسول الله ﷺ

إن حياة رسول الله ﷺ كلها تنبض بالحب، فالحب في سيرة رسول الله ﷺ كان مقصدًا وغاية وكذلك كان دافعًا ومحركًا، فيمكننا أن نتوقف عند كل مشهد في سيرته العطرة وإن بدا قصيرًا بسيطًا إلا إننا إذا دققنا النظر إليه لوجدناه يتدفق بمعاني الحب العالية.

ولذلك انتقينا بعض المشاهد التي تبرز فيها وتتجلى معاني المحبة والتفاني والإيثار والتي وصلت في أحيان كثيرة إلى التضحية بالنفس أو المال من أجل قيمة الحب لرسول الله ﷺ. ومن تلك المشاهد الباقية عبر التاريخ:

1 - بيعة العقبة:

بعد أن ضاقت برسول الله ﷺ وأصحابه الحياة بمكة وصاروا مهددين في كل حين بالاعتداء على أرواحهم وأبنائهم وأموالهم راح رسول الله ﷺ يبحث عن أنصار ينصرون دعوته ويؤوون أصحابه ومكان ينعمون فيه بالأمن والأمان، فعرض نفسه على القبائل الوافدة على مكة في موسم الحج، حتى قَبِلَ دَعوتَهُ بَعْضُ أهل يثرب من الأوس والخزرج خاصة بعد ما كانوا يسمعونه من تبشير اليهود في يثرب بقدوم رسول الله ﷺ.

وتواعـدوا مع رسول الله ﷺ أن يجتمعوا بليل عند العقبة بعيدًا عن أنظـار مشركي قريش حتى يقدمـوا لرسول الله ﷺ العهود والمواثيق بالنصر والمؤازرة.

ودار بينهم وبين رسول الله ﷺ حوار، جاء فيه من العبارات ما يدل على أكثر من النصر والإيمان، عبارات دلت على الحب.

قـال أَبُو الْهَيْثَمِ بْـنُ التَّيِّهَانِ: يَا رَسُـولَ الله ﷺ، إنّ بَيْنَنَـا وَبَيْنَ الرِّجَالِ – يَعْنِي الْيَهُودَ – حِبَالًا، وإنَّا قَاطِعُوهَا، فَهَلْ عَسَيْتَ إنْ نَحْنُ فَعَلْنَا ذَلِكَ ثُمّ أَظْهَرَك الله أَنْ تَرْجِعَ إلَى قَوْمِك وَتَدَعَنَا؟

قَالَ: فَتَبَسّمَ رَسُولُ الله ﷺ ثُمّ قَالَ: «بَلِ الدَّمَ الدَّمَ وَالْهَدْمَ الْهَدْمَ أَنَا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مِنِّي أُحَارِبُ مَنْ حَارَبْتُمْ وَأُسَالِمُ مَنْ سَالَمْتُمْ».[1]

قَـالَ ابْنُ هِشَـامٍ: الْهَدْمَ الْهَـدْمَ: يَعْنِي الْحُرْمَـةَ. أَيْ ذِمّتِي ذِمّتُكُمْ وَحُرْمَتِي حُرْمَتُكُمْ.[2]

2 - قدومه ﷺ إلى قباء:

ثم حان الوقت الذي يخرج فيه رسول الله ﷺ المحبوب مهاجرًا إلى أنصاره الأحبة، والذين آمنوا به وأحبوه وتشوقوا إلى لقائه، وأكثرهم لم يكن رآه من قبل.

---

(1) أخرجه أحمد في مسنده (3/461) رقم (15836) والطبراني في المعجم الكبير (19/250) رقم (566) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (6/44): رجال أحمد رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرح بالسماع..

(2) السيرة النبوية (2/292)..

يحكي الأنصار عن انتظارهم لقدوم النبي ﷺ قالوا: لَمَّا سَمِعْنَا بِمَخْرَجِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ مَكَّةَ، وَتَوَكَّفْنَا قُدُومَهُ كُنَّا نَخْرُجُ إِذَا صَلَّيْنَا الصُّبْحَ إِلَى ظَاهِرِ حَرَّتِنَا نَنْتَظِرُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَوَاللهِ مَا نَبْرَحُ حَتَّى تَغْلِبَنَا الشَّمْسُ عَلَى الظِّلَالِ، فَإِذَا لَمْ نَجِدْ ظِلًّا دَخَلْنَا، وَذَلِكَ فِي أَيَّامٍ حَارَّةٍ. حَتَّى إِذَا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي قَدِمَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ جَلَسْنَا كَمَا كُنَّا نَجْلِسُ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ ظِلٌّ دَخَلْنَا بُيُوتَنَا، وَقَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ دَخَلْنَا الْبُيُوتَ فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ رَآهُ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ، وَقَدْ رَأَى مَا كُنَّا نَصْنَعُ وَأَنَّا نَنْتَظِرُ قُدُومَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَيْنَا، فَصَرَخَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا بَنِي قَيْلَةَ، هَذَا جَدُّكُمْ قَدْ جَاءَ. فَخَرَجْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ فِي ظِلِّ نَخْلَةٍ، وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي مِثْلِ سِنِّهِ، وَأَكْثَرُنَا لَمْ يَكُنْ رَأَى رَسُولَ اللهِ ﷺ قَبْلَ ذَلِكَ، وَرَكِبَهُ النَّاسُ وَمَا يَعْرِفُونَهُ مِنْ أَبِي بَكْرٍ، حَتَّى زَالَ الظِّلُّ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ فَأَظَلَّهُ بِرِدَائِهِ، فَعَرَفْنَاهُ عِنْدَ ذَلِكَ.

وحينما دخل النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ مَرَّ بِجَوَارٍ يَضْرِبْنَ بِدُفِّهِنَّ، وَيَتَغَنَّيْنَ، وَيَقُلْنَ:

نَحْنُ جَوَارٍ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ يَا حَبَّذَا مُحَمَّدٌ مِنْ جَارِ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَعْلَمُ اللهُ؛ إِنِّي لأُحِبُّكُنَّ».[1]

---

(1) أخرجه ابن ماجه في سننه (612/1) رقم (1899) عن عائشة. قال البوصيري في مصباح الزجاجة (106/2): هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات.

وَيَحْكِي أَنَسُ بْنُ مَالِك –رَضِيَ اللهُ عنه– عَنْ فَرَحِ الأَشْعَرِيِّينَ وَسُرُورِهِمْ بِمَقْدَمِهِمْ عَلَى رَسُولِ اللهِ فِي الْمَدِينَةِ، حَيْثُ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَقْدَمُ عَلَيْكُمْ غَدًا أَقْوَامٌ هُمْ أَرَقُّ قُلُوبًا لِلإِسْلاَمِ مِنْكُمْ». قَالَ: فَقَدِمَ الأَشْعَرِيُّونَ فِيهِمْ أَبُو مُوسَى الأَشْعَرِيُّ فَلَمَّا دَنَوْا مِنَ الْمَدِينَةِ جَعَلُوا يَرْتَجِزُونَ يَقُولُونَ:

غَدًا نَلْقَى الأَحِبَّهْ مُحَمَّدًا وَحِزْبَهْ

فَلَمَّا أَنْ قَدِمُوا تَصَافَحُوا فَكَانُوا هُمْ أَوَّلَ مَنْ أَحْدَثَ الْمُصَافَحَةَ.[1]

ويصف أنس يوم دخول النبي المدينة، قال: لَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ أَضَاءَ مِنَ الْمَدِينَةِ كُلُّ شَيْءٍ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَظْلَمَ مِنَ الْمَدِينَةِ كُلُّ شَيْءٍ، وَمَا فَرَغْنَا مِنْ دَفْنِهِ حَتَّى أَنْكَرْنَا قُلُوبَنَا.[2]

3 - تأليف الله عز وجل بين قلوب الأوس والخزرج:

وسرت روح الحب في المدينة بمجرد أن حل بها رسول الله ﷺ واتخذ كل أنصاري لنفسه أخًا من المهاجرين يقوم على إيوائه ورعايته وضيافته.

---

(1) أخرجه أحمد في مسنده (3/155) رقم (12604)، قال الضياء المقدسي في المختارة (5/300)، إسناده صحيح.

(2) أخرجه الترمذي في سننه (5/588) رقم (3618) وقال: حديث غريب صحيح. وابن ماجه في سننه (1/522) رقم (1631) وأحمد في مسنده (3/221) رقم (13336) قال الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (4/418): إسناده صحيح. السيرة النبوية لابن هشام (3/36).

قال تعالى: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٣) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾.[1]

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَآخَى رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ أَصْحَابِهِ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، فَقَالَ: «تَآخَوْا فِي اللهِ أَخَوَيْنِ أَخَوَيْنِ».[2]

وآخى رسول الله بين سعد بن الربيع وعبد الرحمن بن عوف، رضي الله عنهما، فانطلق سعد إلى داره وقال له: يا عبد الرحمن، أنا أكثر أهل المدينة مالاً وأقلهم عيالاً، فانظر إلى أي شطر من مالي فخذه، ثم انظر إلى امرأتيَّ هاتين أيتهما تعجبك حتى أطلقها فتتزوج بها. فقال عبد الرحمن بن عوف: بارك الله لك في أهلك ومالك، دلوني على السوق. فدلوه، فذهب إليه وباع واشترى حتى ربح ربحًا وفيرًا فأثرى واغتنى[3].

وفي روح المحبة والإيثار التي سرت بين المهاجرين والأنصار نزل قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[4]

---

(1) سورة الأنفال: (الآيتان 64،63).

(2) السيرة النبوية، لابن هشام (36/3).

(3) أخرجه البخاري في صحيحه (722/2) رقم (1944) عن أنس بن مالك.

(4) (سورة الحشر: آية 9).

والحديث عن روح التعاون والمشاركة والإيثار بين أصحاب رسول الله ﷺ والتي وصلت إلى هذا الحد قد يرفضه أو يرده بعضهم، ممن خلع نظارة الحب ولبس مكانها نظارة العصبية وتحكيم المصالح والتقاليد التي تراكمت على قلوبهم، ويرون في مثل هذا الفعل سذاجة سعد بن الربيع الذي عرض على أخيه المهاجر أن يتنازل له عن شطر ماله وأهله، ويرون في عرضه لزوجتيه على أخيه حتى يختار من يرغب في الزواج بها حتى يطلقها له عدم نخوة منه وعدم رجولة، أو يحكمون على مثل هذا السلوك بأنه تحقير للمرأة ومعاملة الزوج لها معاملة الأشياء المملوكة.

وكل هذا الفهم السقيم والنظر السيئ مصدره وسببه عدم الإدراك للحب، وعدم النظر إلى الأشياء بنظارته، فإن سعد بن الربيع وزوجتيه وعبد الرحمن قد انصهروا جميعًا في بوتقة حب الإسلام وحب رسول الله ﷺ وحب بعضهم بعضًا فصاروا جميعًا كالشيء الواحد.

ولا نملك لمن أساء فهم حوادث الحب بين الصحابة إلا أن نقولَ لهم: حاكموا الحب وسائلوه.

فإنكم افتقدتم هذا الحب في حياتكم فصار عليكم غريبًا عجيبًا مستصعبًا فهمه، وبفقدكم للحب فقدتم كل معنى للحياة وقست قلوبكم وتنطعت أفكاركم وتجمدت عقولكم وأرواحكم.

وعاشت الأخوة التي أرساها رسول الله ﷺ سنين طويلة، فإنه لَمَّا دَوَّنَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ الدَّوَاوِينَ بِالشَّامِ، وَكَانَ بِلَالٌ قَدْ خَرَجَ

إلَـى الشَّام، فَـأقَـامَ بِهَا مُجَاهِدًا، فَقَـالَ عُمَرُ لِبِلَالٍ: إلَى مَنْ تَجْعَلُ دِيوَانَـكَ يَا بِلَالُ؟ قَـالَ: مَعَ أَبِي رُوَيْحَـةَ الْخَثْعَمِيِّ لَا أُفَـارِقُهُ أَبَدًا؛ لِلْأُخُـوَّةِ الَّتِي كَانَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ عَقَدَ بَيْنَـهُ وَبَيْنِـي. فَضمَّ إِلَيْهِ وَضُـمَّ دِيوَانُ الْحَبَشَـةِ إِلَى خَثْعَـم، لِمَكَانِ بِلَالٍ مِنْهُـمْ، فَهُوَ فِي خَثْعَم إِلَى هَذَا الْيَوْمِ بِالشَّامِ.

4- فـي يـوم بـدر:

يـوم بـدر كان يوم الملحمـة ويوم العـزة للمسلميـن، وهو أول اختبـار حقيقي لصدق حب المسلميـن لرسولهم ولدينهم، وهو اختبار استوجب التضحية بـالنفس والمال.

ولمـا علـم رسـول الله ﷺ أن قريشًـا تجهـزت بجيشهـا للمسيـر إلى المدينـة جمع أصحابه ليستشيرهم ويختبر صدق حبهم واستعدادهم للجهاد.

فَقَامَ أَبُو بَكْـرٍ الصِّدِّيقُ، فَقَالَ وَأَحْسَنَ. ثُمّ قَـامَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَقَالَ وَأَحْسَنَ ثُمّ قَـامَ الْمِقْدَادُ بْنُ عَمْرٍو فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ امْضِ لِمَا أَرَاك اللهُ فَنَحْنُ مَعَك، واللهِ لَا نَقُولُ لَك كَمَا قَالَتْ بَنُو إسْرَائِيلَ لِمُوسَـى: ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ وَلَكِنْ اذْهَـبْ أَنْتَ وَرَبّـك فَقَاتِلَا إِنّـا مَعَكُمَـا مُقَاتِلُونَ، فَوَالّـذِي بَعَثَك بِالْحَقّ لَوْ سِرْت بِنَا إلَى بِرْكِ الْغِمَادِ لَجَالَدْنَا مَعَك مِنْ دُونِهِ حَتّى تَبْلُغَهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَيْرًا، وَدَعَا لَهُ بِهِ.

وقَــالَ رَسُــولُ الله ﷺ: أَشِيـرُوا عَلَــيَّ أَيّهَــا النّـاسُ. وَإِنّمَــا يُرِيدُ الْأَنْصَــارَ، وَذَلِـكَ أَنّهُمْ عَدَدُ النَّاسِ، وَأَنّهُمْ حِيـنَ بَايَعُوهُ بِالْعَقَبَةِ قَالُوا: يَـا رَسُولَ الله إنّا بَرَاءٌ مِنْ ذِمَامِك حَتّى تَصِلَ إلَى دِيَارِنَا، فَإِذَا وَصَلْتَ إلَيْنَا، فَأَنْتَ فِي ذِمّتِنَا نَمْنَعُك مِمّا نَمْنَعُ مِنْهُ أَبْنَاءَنَا وَنِسَاءَنَــا. فَكَانَ رَسُـولُ الله ﷺ يَتَخَوّفُ أَلّا تَكُونَ الْأَنْصَارُ تَرَى عَلَيْهَا نَصْرَهُ إلّا مِمّنْ دَهَمَهُ بِالْمَدِينَةِ مِنْ عَدُوّهِ وَأَنْ لَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَسِيرَ بِهِمْ إلَى عَدُوٍّ مِنْ بِلَادِهِمْ. فَلَمّا قَالَ ذَلِكَ رَسُولُ الله ﷺ قَــالَ لَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَــاذٍ: والله لَكَأَنّك تُرِيدُنَا يَــا رَسُولَ الله؟ قَالَ: أَجَـلْ. قَالَ: فَقَدْ آمَنّا بِك وَصَدّقْنَــاك، وَشَهِدْنَا أَنّ مَا جِئْتَ بِهِ هُوَ الْحَـقُّ، وَأَعْطَيْنَــاك عَلَى ذَلِـكَ عُهُودَنَــا وَمَوَاثِيقَنَا، عَلَــى السّمْعِ وَالطّاعَـةِ فَامْضِ يَا رَسُـولَ الله لِمَا أَرَدْتَ فَنَحْـنُ مَعَك، فَوَالّذِي بَعَثَـك بِالْحَقّ لَـو اسْتَعْرَضْتَ بِنَا هَـذَا الْبَحْرَ فَخُضْتَــهُ لَخُضْنَاهُ مَعَـك، مَــا تَخَلّفَ مِنّا رَجُلٌ وَاحِـدٌ وَمَا نَكْرَهُ أَنْ تَلْقَــى بِنَا عَدُوّنَا غَدًا، إنّا لَصُبُرٌ فِي الْحَرْبِ صُدُقٌ فِي اللّقَاءِ. لَعَلّ الله يُرِيك مِنّا مَا تَقَـرّ بِهِ عَيْنُك، فَسِرْ بِنَا عَلَــى بَرَكَةِ الله. فَسُرّ رَسُولُ الله ﷺ بِقَوْلِ سَعْـدٍ وَنَشّطَهُ ذَلِكَ. ثُمّ قَــالَ: سِيرُوا وَأَبْشِرُوا، فَــإِنّ الله تَعَالَى قَدْ وَعَدَنِي إحْدَى الطّائِفَتَيْنِ.[1]

---

(1) السيرة النبوية (3/162).

5 - **بعد قبول النبي ﷺ الفداء من أسرى بدر:**

وهذا موقف جمع بين رسول الله ﷺ وصاحبيه المقربين أبي بكر وعمر -رضي الله عنهما- عكس حميمية العلاقة والمحبة بينهم.

لما نزل قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾.[1]

جاء عمر بن الخطاب إلى رسولِ اللهِ ﷺ فوجده ومعه أَبُو بَكْرٍ قَاعِدَيْنِ يَبْكِيَانِ. فقال: يَا رَسُولَ اللهِ، أَخْبِرْنِي مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَبْكِي أَنْتَ وَصَاحِبُكَ، فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاءً بَكَيْتُ، وَإِنْ لَمْ أَجِدْ بُكَاءً تَبَاكَيْتُ لِبُكَائِكُمَا.[2]

فإن رقة قلب أبي بكر جعلته لا يحتمل النظر إلى رسول الله ﷺ يبكي، فجلس إلى جواره يبكي معه، فلما دخل عمر رق لما رأى من صاحبيه. لقد استحالت شدة عمر وتحولت صلابته إلى رقة وشعور فياض ببركة الحب وجلوسه بين يدي رسول ﷺ، فهو وإن لم يعرف سبب بكائهما سيبكي لبكائهما.

6 - **عندما تعرضت حياة رسول الله ﷺ للخطر في يوم أحد:**

وفي هذا المشهد تتحول ملحمة المعركة إلى ملحمة في الحب منصبة على رسول الله ﷺ، فقد حمل جيش المشركين على

---

(1) الأنفال: آية 67.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه (3/ 1383) رقم (1763) عن عمر.

جيش المسلمين حملة عنيفة فتفرق المسلمون وفروا من الميدان وقتل الكثير منهم، وشاع أن رسول الله ﷺ قد قتل، فتوقف المسلمون وراح بعضهم يصرخ: وما بقاؤنا بعد رسول الله؟ وما بقاؤنا بعد رسول الله؟ ورأوا أنهم خذلوا رسولهم وأسلموه وأنهم لا يستطيعون العيش والحياة بعده، فجمعهم حبه ثانية، وكروا وحملوا على المشركين حملة جعلتهم يتراجعون.

وَمَرّ أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ بِقَوْمٍ مِن الْمُسْلِمِينَ قَدْ أَلْقَوْا بِأَيْدِيهِمْ فَقَالَ: مَا تَنْتَظِرُونَ؟ فَقَالُوا: قُتِلَ رَسُولُ الله ﷺ. فَقَالَ: مَا تَصْنَعُونَ فِي الْحَيَاةِ بَعْدَهُ؟ قُومُوا فَمُوتُوا عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْه، ثُمَّ اسْتَقْبَلَ النَّاسَ وَلَقِيَ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ فَقَالَ: يَا سَعْدُ، إنّي لَأَجِدُ رِيحَ الْجَنَّةِ مِنْ دُونِ أُحُد. فَقَاتَلَ حَتّى قُتِلَ، وَوُجِدَ بِهِ سَبْعُونَ ضَرْبَةً، فَمَا عَرَفَهُ إلّا أُخْتُهُ عَرَفَتْهُ بِبَنَانِه.[1]

وظهر أن رسول الله ما زال حيًّا ولكن تعرضت حياته للخطر المحدق لأن جيش قريش كله راح يبحث عن رسول الله يريدون الظفر به.

وَأَدْرَكَهُ الْمُشْرِكُونَ يُرِيدُونَ مَا اللهُ حَائِلٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ، فَحَالَ دُونَهُ نَفَرٌ مِن الْمُسْلِمِينَ نَحْوُ عَشَرَةٍ حَتّى قُتِلُوا، ثُمّ جَالَدَهُمْ طَلْحَةُ حَتّى أَجْهَضَهُمْ عَنْهُ، ووَقَى النَّبِيَّ ﷺ بيده من ضربة وُجِّهت له فشلت يده.

---

(1) السيرة النبوية (4/31).

وَقُتِـلَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ بَيْنَ يَدَيْـهِ، فَدَفَعَ اللِّوَاءَ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَنَشِبَتْ حَلْقَتَانِ مِنْ حَلَقِ الْمِغْفَرِ فِي وَجْهِ رسول الله ﷺ فَانْتَزَعَهُمَـا أَبُـو عُبَيْدَةَ بْـنُ الْجَرَّاحِ، عَضَّ عَلَيْهِمَـا حَتَّى سَقَطَتْ ثَنِيَّتَـاهُ مِنْ شِـدَّةِ غَوْصِهِمَا فِي وَجْهِهِ، وَامْتَصَّ مَالِكُ بْنُ سِنَانٍ وَالِدُ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ الدَّمَ مِنْ وَجْنَتِهِ، ثُمَّ ازْدَرَدَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ مَسَّ دَمِي دَمَهُ لَمْ تُصِبْهُ النَّارُ».[1]

وكانـت فاطمة بنـت النبي رَضِـيَ اللهُ عنها خرجـت معهم في أحد، ولما أصيـب أبوهـا راحت تغسل جرحه وَعَلِيٌّ يَسْكُبُ الْمَاءَ بِالْمِجَـنِّ، فَلَمَّا رَأَتْ فَاطِمَةُ أَنَّ الْمَاءَ لاَ يَزِيدُ الدَّمَ إِلاَّ كَثْرَةً أَخَذَتْ قِطْعَةً مِنْ حَصِيرٍ، فَأَحْرَقَتْهَا وَأَلْصَقَتْهَا فَاسْتَمْسَكَ الدَّمُ.[2]

وخَلَصَ الْمُشْرِكُونَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَجَرَحُوا وَجْهَهُ، وَكَسَرُوا رَبَاعِيَتَـهُ الْيُمْنَى، وَكَادَت السُّفْلَى، وَهَشَّمُـوا الْبَيْضَةَ عَلَى رَأْسِهِ، وَرَمَـوْهُ بِالْحِجَـارَةِ حَتَّى. وَقَعَ لِشِقِّهِ وَسَقَطَ فِـي حُفْرَةٍ مِن الْحُفَرِ الَّتِي كَانَ أَبُو عَامِرٍ الْفَاسِقُ يَكِيدُ بِهَا الْمُسْلِمِينَ، فَأَخَذَ عَلِيٌّ بِيَدِهِ، وَاحْتَضَنَـهُ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ، وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى أَذَاهُ ﷺ عَمْرُو بْنُ قَمِئَةَ وَعُتْبَةُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ.

---

(1) السيرة النبوية (4/29).

(2) أخرجه البخاري في صحيحه (4/1469) رقم (3847) عن فاطمة.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَتَرَّسَ دُونَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَبُو دُجَانَةَ بِنَفْسِهِ، يَقَعُ النَّبْلُ فِي ظَهْرِهِ وَهُوَ مُنْحَنٍ عَلَيْهِ، حَتَّى كَثُرَ فِيهِ النَّبْلُ. فبدا وكأنه قنفذ[1].

إن حب أبي دجانة لرسول الله كان أعظم عنده من حياته، فقد جعل من نفسه سترًا ودرعًا يحمي به رسول الله، حتى تراشقت بجسده السهام، وهو لا يتحرك.

ونجى الله -عز وجل- أبا دجانة بحبه لرسول الله ﷺ، ورغم شجاعته ومشاركته رسول الله ﷺ في كل الوقائع فقد عاش بعد وفاة رسول الله ﷺ وشهد اليمامة وشارك في قتل مسيلمة الكذاب.

وَأُصِيبَتْ يَوْمَئِذٍ عَيْنُ قَتَادَةَ بْنِ النُّعْمَانِ، فَأَتَى بِهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَرَدَّهَا عَلَيْهِ بِيَدِهِ، فَكَانَتْ أَصَحَّ عَيْنَيْهِ وَأَحْسَنَهُمَا[2].

وَقَاتَلَتْ أُمُّ عمَارَةَ نَسِيبَةُ بِنْتُ كَعْبٍ الْمَازِنِيَّةُ يَوْمَئِذٍ قِتَالًا شَدِيدًا، وَضَرَبَتْ عَمْرَو بْنَ قَمِئَةَ بِالسَّيْفِ ضَرَبَاتٍ، فَوَقَتْهُ دِرْعَانِ كَانَتَا عَلَيْهِ، وَضَرَبَهَا عمرو بِالسَّيْفِ فَجَرَحَهَا جُرْحًا شَدِيدًا عَلَى عَاتِقِهَا، وكانت تقاتل بدون ترس، فرأى ﷺ رجلاً موليًا وفي يده ترس فناداه: «أَنْ أَلْقِ ترْسَكَ لمَن يُقَاتِل». فرمى به وهرب. فأسرعت نسيبة إليه فالتقطته وعادت مكانها حول رسول الله ﷺ.

(1) السيرة النبوية (4/31).

(2) أخرجه ابن سعد في الطبقات (1/187)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (49/281).

وشهدت نسيبة يوم أحد مع زوجها وابنيها، خرجت معهم بشن لهـا تسقـي الجرحى، وحينمـا استلـزم الأمر قاتلـت، فجُرحت اثنـي عشر جرحًا، قال عنها رسول الله ﷺ: **«لَمَقَامُ نَسِيبَةَ بنتِ كَعْبٍ اليومَ خَيْرٌ مِنْ مَقَامِ فُلانٍ وَفُلاَنٍ، مَا الْتَفَتُّ يَمِينًا أَوْ شِمَالاً إلاَّ وَأَنَا أَرَاهَا تُقَاتِلُ دُونِي»**.[1]

وقـال لابنها عبد الله بن زيد بن عاصم: **«بَارَكَ اللهُ تَعَالى عَلَيكم أَهْـلَ بَيْـتٍ**، مقام أمكم خيـر من مقام فلان وفـلان، ومقام زوج أمـك خير من مقام فلان وفلان رحمكـم الله أهل بيت». قالت أم عمارة: ادع الله تعالى أن نرافقك في الجنة. فقال: **«اللـهمَّ اجْعَلْهُمْ رُفَقَائِي فِي الجَنَّةِ»**. **فقالت: ما أبالي ما أصابني من أمر.** وقال النبي ﷺ: «مَنْ يُطِيقُ مَا تُطِيقِينَ يَا أُمَّ عمَارَةَ»[2].

ويحكـي سعد بـن أبي وقاص عن امـرأة أخرى مِـنْ بَنِي دِينَارٍ أقبلـت علـى المسلمين حين قفولهـم من أحد تسـأل عن رسول الله ﷺ تطمئـن عليه، فنعوا لها زوجها، فلم تلتفت عن سؤالها، ثـم نعوا لهـا أخاها ثم أباها، فقَالَتْ: فَمَا فَعَلَ رَسُولُ الله ﷺ؟ قَالُوا: خَيْرًا يَا أُمَّ فُلَانٍ هُوَ بِحَمْدِ الله كَمَا تُحِبِّينَ. فلم تهدأ وقَالَتْ: أَرُونِيهِ حَتّى أَنْظُرَ إِلَيْه؟ قَالَ: فَأُشِيرَ لَهَا إِلَيْهِ حَتّى إِذَا رَأَتْهُ قَالَتْ: كُلّ مُصِيبَةٍ بَعْدَكَ جَلَلٌ. تُرِيدُ صَغِيرَةً.[3]

---

(1) الطبقات الكبرى، لابن سعد (8/413).

(2) الطبقات الكبرى لابن سعد (8/415).

(3) السيرة النبوية (4/50).

ولما وضعت الحرب أوزارهـا وَفَرَغَ النَّاسُ لِقَتْلَاهُمْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَـنْ رَجُلٌ يَنْظُـرُ لِي مَا فَعَلَ سَعْدُ بْـنُ الرَّبِيعِ؟ أَفِي الْأَحْيَاءِ هُوَ أَمْ فِي الْأَمْوَاتِ؟» فَقَـالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: أَنَا أَنْظُرُ لَـكَ يَا رَسُولَ اللهِ مَا فَعَلَ سَعْدٌ. فَنَظَـرَ فَوَجَدَهُ جَرِيحًا فِي الْقَتْلَى وَبِـهِ رَمَـقٌ. فَقَـالَ لَـهُ: إِنَّ رَسُـولَ اللهِ ﷺ أَمَرَنِـي أَنْ أَنْظُـرَ أَفِي الْأَحْيَـاءِ أَنْتَ أَمْ فِي الْأَمْوَاتِ؟ قَالَ: أَنَا فِي الْأَمْوَاتِ فَأَبْلِغْ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِّـي السَّلَامَ وَقُلْ لَهُ إِنَّ سَعْدَ بْنَ الرَّبِيعِ يَقُولُ لَكَ: جَزَاكَ اللهُ عَنَّـا خَيْرَ مَا جَزَى نَبِيًّـا عَنْ أُمَّتِهِ وَأَبْلِغْ قَوْمَـكَ عَنِّي السَّلَامَ وَقُـلْ لَهُـمْ: إِنَّ سَعْدَ بْنَ الرَّبِيعِ يَقُولُ لَكُـمْ: إِنَّهُ لَا عُذْرَ لَكُمْ عِنْدَ اللهِ إِنْ خلصَ إِلَـى نَبِيِّكُمْ ﷺ وَفِيكُمْ عَيْنٌ تَطْرِفُ. قَـالَ: ثُمَّ لَمْ أَبْرَحْ حَتَّى مَاتَ.[1]

ويـروي ابْنُ هِشَام أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ عَلَـى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وَبِنْتٌ لِسَعْـدِ بْنِ الرَّبِيـعِ جَارِيَة صَغِيرَةٌ عَلَى صَـدْرِهِ يَرْشُفُهَا وَيُقَبِّلُهَا، فَقَـالَ لَهُ الرَّجُلُ: مَنْ هَذِهِ ؟ قَالَ: هَـذِهِ بِنْتُ رَجُلٍ خَيْرٍ مِنِّي، سَعْدِ بْنِ الرَّبِيـعِ، كَانَ مِنَ النُّقَبَاءِ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، وَشَهِـدَ بَدْرًا، وَاسْتُشْهِدَ يَوْمَ أُحُدٍ.[2]

وأسر المشركون في يوم أحد الصحابي زَيْدَ بْنَ الدَّثِنَةِ، وَحينما أَخْرَجُـوهُ مِـنْ الْحَـرَمِ لِيَقْتُلُوهُ. وَاجْتَمَـعَ رَهْطٌ مِـنْ قُرَيْشٍ، فِيهِمْ

---

(1) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (3/285) عن أبي ذر.

(2) السيرة النبوية (4/44).

أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ فَقَالَ لَهُ أَبُو سُفْيَانَ حِينَ قَدِمَ لِيُقْتَلَ: أَنْشُدُكَ اللهَ يَا زَيْدُ أَتُحِبُّ أَنَّ مُحَمَّدًا عِنْدَنَا الْآنَ فِي مَكَانِك نَضْرِبُ عُنُقَهُ وَأَنَّك فِي أَهْلِك؟ قَالَ: واللهِ مَا أُحِبُّ أَنَّ مُحَمَّدًا الْآنَ فِي مَكَانِهِ الَّذِي هُوَ فِيهِ تُصِيبُهُ شَوْكَةٌ تُؤْذِيهِ وَأَنَا جَالِسٌ فِي أَهْلِي. قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: مَا رَأَيْت مِنَ النَّاسِ أَحَدًا يُحِبُّ أَحَدًا كَحُبِّ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا.[1]

7 – دعاء رسول الله ﷺ للمستضعفين من أصحابه:

ومن حب رسول الله ﷺ لأصحابه أنه كان يذكرهم، وكان يهتم لأمرهم فلم يفتر عن الدعاء لأصحابه المستضعفين الذين عجزوا عن الهجرة أو حبسهم المشركون وعذبوهم وفتنوهم، فكان ﷺ يدعو لهم في قنوته.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا قَالَ: «سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ». فِي الرَّكْعَةِ الآخِرَةِ مِنْ صَلاةِ الْعِشَاءِ قَنَتَ: «اللهمَّ أَنْجِ عَيَّاشَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ، اللهمَّ أَنْجِ الْوَلِيدَ بْنَ الْوَلِيدِ، اللهمَّ أَنْجِ سَلَمَةَ بْنَ هِشَامٍ، اللهمَّ أَنْجِ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، اللهمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرَ، اللهمَّ اجْعَلْهَا سِنِينَ كَسِنِي يُوسُفَ».[2]

وعياش بن أبي ربيعة هو أخو أبي جهل لأمه وابن عمه، وهو أخو عبد الله بن أبي ربيعة، كان إسلامه قديمًا أول الإسلام،

---

(1) المصدر السابق.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه (3/1072) رقم (2774) واللفظ له، ومسلم في صحيحه (1/467) رقم (675).

هاجر إلى أرض الحبشة، وولد له بها ابنه عبد الله، ثم عاد إلى مكة وهاجر إلى المدينة هو وعمر بن الخطاب. وقد قدم عليه أخواه لأمه أبو جهل والحارث ابنا هشام فذكرا له أن أمه حلفت ألا يدخل رأسها دهن ولا تستظل حتى تراه، فرجع معهما، فأوثقاه وحبساه بمكة، ومنعاه من الهجرة.

وَالْوَلِيدُ هُوَ ابْنُ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ الْمَخْزُومِيُّ، حَبَسَهُ الْمُشْرِكُونَ بِمَكَّةَ عَنِ الْهِجْرَةِ فَانْفَلَتَ مِنْهُمْ بَعْدَ أَنْ دَعَا لَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي قُنُوتِهِ بِالنَّجَاةِ، فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ وَتُوُفِّيَ بِهَا، فَكَفَّنَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي قَمِيصِهِ.

8 - فتح مكة، وتوزيع رسول الله ﷺ للفيء:

وعندما أنعم الله على رسوله ﷺ بفتح مكة، وعاد إلى بلده عزيزًا هو وأصحابه من المهاجرين والأنصار تَخَوَّفَ الْأَنْصَارُ مِنْ بَقَاءِ الرَّسُولِ فِي مَكَّةَ وَأَصَابَهُمُ الْحزنُ لِخَشْيَتِهِمْ فِرَاقَ حَبِيبِهِمْ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

فقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى الصَّفَا يَدْعُو اللهَ، وَقَدْ أَحْدَقَتْ بِهِ الْأَنْصَارُ، فَقَالُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ: أَتُرَوْنَ رَسُولَ اللهِ ﷺ إِذْ فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ أَرْضَهُ وَبَلَدَهُ يُقِيمُ بِهَا؟ فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ دُعَائِهِ قَالَ: «مَاذَا قُلْتُمْ؟» قَالُوا: لَا شَيْءَ يَا رَسُولَ اللهِ. فَلَمْ يَزَلْ بِهِمْ حَتَّى أَخْبَرُوهُ، فَقَالَ النَّبِي ﷺ: «مَعَاذَ اللهِ، الْمَحْيَا مَحْيَاكُمْ، وَالْمَمَاتُ مَمَاتُكُم».(1)

(1) أورده ابن هشام في السيرة النبوية (5/80) بهذا اللفظ، وبمعناه في مسلم (3/1406) رقم (1780) عن أبي هريرة.

وزادهم طمأنينة فقال ﷺ: «لَوْلاَ الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا وَسَلَكَتِ الأَنْصَارُ وَادِيًا – أَوْ شِعْبًا – لَسَلَكْتُ وَادِيَ الأَنْصَارِ– أَوْ شِعْبَ الأَنْصَارِ».[1]

وعند توزيع رسول الله ﷺ للغنائم أغدق وأفاض على بعض الناس دون بعض، يتألفهم بذلك ويثبت نفوسهم، فَوَجَدَ –أي حزن– الأَنْصَارُ لِحِرْمَانِهِمْ من بعض الغنائم؛ لا لأنهم كانوا يطمعون فيها، ولكنهم حزنوا أن يكون رسول الله ﷺ يفضل عليهم أحدًا فيؤثره في العطاء عليهم، فَاسْتَرْضَاهُم الرَّسُولُ لا بزيادة العطاء ولكن بزيادة الحب.

قَالَ سعد بن عبادة: يَا رَسُولَ الله، إِنَّ هَذَا الْحَيَّ مِنَ الأَنْصَارِ قَدْ وَجَدُوا عَلَيْك فِي أَنْفُسِهِمْ لِمَا صَنَعْت فِي هَذَا الْفَيْءِ، وَلَمْ يَكُ فِي هَذَا الْحَيِّ مِن الأَنْصَارِ مِنْهَا شَيْءٌ. قَالَ: «فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ يَا سَعْدُ؟» قَالَ: يَا رَسُولَ الله مَا أَنَا إِلَّا مِنْ قَوْمِي. قَالَ: «فَاجْمَعْ لِي قَوْمَك فِي هَذِهِ الْحَظِيرَةِ» قَالَ: فَخَرَجَ سَعْدٌ فَجَمَعَ الأَنْصَارَ فِي تِلْكَ الْحَظِيرَةِ. قَالَ: فَجَاءَ رِجَالٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ فَتَرَكَهُمْ فَدَخَلُوا، وَجَاءَ آخَرُونَ فَرَدَّهُمْ. فَلَمَّا اجْتَمَعُوا لَهُ أَتَاهُ سَعْدٌ فَقَالَ: قَد اجْتَمَعَ لَك هَذَا الْحَيُّ مِن الأَنْصَارِ.

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه (2646/6) رقم (6817) عن أبي هريرة ومسلم في صحيحه (735/2) رقم (1059) عن أنس بن مالك.

فَأَتَاهُـمْ رَسُـولُ اللهِ ﷺ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْـهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ مَا قَالَةٌ بَلَغَتْنِي عَنْكُمْ وَجِدَةٌ وَجَدْتُمُوهَا عَلَـيَّ فِي أَنْفُسِكُمْ؟ أَلَمْ آتِكُمْ ضُلالًا فَهَدَاكُم اللهُ؟ وَعَالَةً فَأَغْنَاكُم اللهُ؟ وَأَعْـدَاءً فَأَلَّفَ اللهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ؟». قَالُـوا: بَلَى، اللهُ وَرَسُولُهُ أَمَـنُّ وَأَفْضَـلُ. ثُـمَّ قَـالَ: «أَلَا تُجِيبُونَنِي يَا مَعْشَـرَ الْأَنْصَارِ؟». قَالُـوا: بِمَـاذَا نُجِيبُكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ للهِ وَلِرَسُولِـهِ الْمَنُّ وَالْفَضْلُ. قَـالَ ﷺ: «أَمَا واللهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَلَصَدَقْتُمْ وَلَصُدِّقْتُمْ: أَتَيْتَنَا مُكَذَّبًا فَصَدَّقْنَاكَ، وَمَخْذُولًا فَنَصَرْنَاكَ، وَطَرِيدًا فَآوَيْنَاكَ، وَعَائِلًا فَآسَيْنَـاكَ. أَوَجَدْتُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ فِـي أَنْفُسِكُمْ فِي لُعَاعَةٍ مِـنَ الدُّنْيَا تَأَلَّفْتُ بِهَا قَوْمًا لِيُسْلِمُـوا، وَوَكَلْتُكُمْ إِلَى إِسْلَامِكُمْ، أَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ وَتَرْجِعُوا بِرَسُولِ اللهِ إِلَى رِحَالِكُمْ؟ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا وَسَلَكَتِ الْأَنْصَـارُ شِعْبًا، لَسَلَكْتُ شِعْبَ الْأَنْصَـارِ. اللَّهُمَّ ارْحَمِ الْأَنْصَارَ، وَأَبْنَـاءَ الْأَنْصَارِ، وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ». قَالَ: فَبَكَى الْقَوْمُ حَتَّى أَخْضَلُوا لِحَاهُمْ. وَقَالُوا: رَضِينَا بِرَسُولِ اللهِ قَسْمًا وَحَظًّا.[1]

---

(1) أخرجه أحمد في مسنده (3/76) رقم (11748) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (10/30): رجاله رجال الصحيح غير محمد بن إسحاق، وقد صرح بالسماع.

9- وفاة رسول الله ﷺ:

أصيب المسلمون بالحزن الشديد حينما مرض رسول الله في أيامه الأخيرة، وكانوا يرجون رؤية رسول الله يخرج إليهم، وكذلك تحامل رسول الله ﷺ على نفسه في يومه الأخير في الدنيا حتى يخرج إليهم وينظر حالهم، وكأنه يودعهم ويطمئن عليهم.

يروي ابْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّهُ لَمَّا كَانَ يَوْمُ الإثنين الذي قبض الله فيه رسول الله ﷺ خَرَجَ إِلَى النَّاسِ وَهُمْ يُصَلُّونَ الصُّبْحَ فَرَفَعَ السِّتْرَ وَفَتَحَ الْبَابَ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَامَ عَلَى بَابِ عَائِشَةَ، فَكَادَ الْمُسْلِمُونَ يُفْتَتَنُونَ فِي صَلَاتِهِمْ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ حِينَ رَأَوْهُ فَرَحًا بِهِ، وَتَفَرَّجُوا، فَأَشَارَ إِلَيْهِمْ أَن اثْبُتُوا عَلَى صَلَاتِكُمْ.

قَالَ: فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سُرُورًا لِمَا رَأَى مِنْ هَيْئَتِهِمْ فِي صَلَاتِهِمْ، وَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَحسَنَ هَيْئَةً مِنْهُ تِلْكَ السَّاعَةَ.[1]

وفي صحيح البخاري: فَأَشَارَ إِلَيْهِمْ بِيَدِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ أَتِمُّوا صَلَاتَكُمْ، ثُمَّ دَخَلَ الْحُجْرَةَ وَأَرْخَى السِّتْرَ، وَتُوُفِّيَ ذَلِكَ الْيَوْمَ.[2]

هذا مشهد فراق الأحبة، وهذا مشهد حزن وألم.

---

(1) السيرة النبوية لابن هشام (2/653).

(2) أخرجه البخاري في صحيحه (4/1616) رقم (4183) واللفظ له. ومسلم في صحيحه (1/315) رقم (419) كلاهما عن أنس.

وفي هذه اللحظات الأخيرة يخرج رسول الله ﷺ ليزور أصحابه الذين استشهدوا في سبيل نصرة دعوته ورسالته ومحبته، يذهب رسول الله ﷺ إلى البقيع يودع أهله ويصلي عليهم ويستغفر لهم، ويتذكر من استشهدوا في غزوة أحد ويتذكر عمه حمزة بن عبد المطلب، فقد كان رسول الله ﷺ يودع من الدنيا كل من أحبه.

تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: **تُوُفِّيَ النَّبِيُّ ﷺ فِي بَيْتِي، وَفِي نَوْبَتِي، وَبَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي، وَجَمَعَ اللهُ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ. قَالَتْ: دَخَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بِسِوَاكٍ، فَضَعُفَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْهُ، فَأَخَذْتُهُ فَمَضَغْتُهُ ثُمَّ سَنَنْتُهُ بِهِ.**[1]

وينقل الإمام السهيلي صاحب الروض ما رُوِيَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وَغَيْرِهَا مِنَ الصَّحَابَةِ عن حالهم عندما توفي رسول الله ﷺ **أنه لما تُوُفِّيَ ﷺ دُهِشَ النَّاسُ وَطَاشَتْ عُقُولُهُمْ وَأُقْحِمُوا، وَاخْتَلَطُوا، فَمِنْهُمْ مَنْ خُبِلَ، وَمِنْهُمْ مَنْ أُصْمِتَ، وَمِنْهُمْ مَنْ أُقْعِدَ إِلَى أَرْضٍ، فَكَانَ عُمَرُ مِمَّنْ خُبِلَ وَجَعَلَ يَصِيحُ وَيَحْلِفُ: مَا مَاتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَكَانَ مِمَّنْ أُخْرِسَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ حَتَّى جَعَلَ يُذْهَبُ بِهِ وَيُجَاءُ وَلَا يَسْتَطِيعُ كَلَامًا، وَكَانَ مِمَّنْ أُقْعِدَ عَلِيٌّ رضي الله عنه، فَلَمْ يَسْتَطِعْ حَرَاكًا، وَأَمَّا عَبْدُ اللهِ بْنُ أُنَيْسٍ،**

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه (3/1129) رقم (2933).

فأضْنِي حَتّى مَاتَ كَمَدًا، وَبَلَغَ الْخَبَرُ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَهُوَ بِالسُّنُحِ فَجَاءَ وَعَيْنَاهُ تَهْمُلَانِ، وَزَفَرَاتُهُ تَتَرَدَّدُ فِي صَدْرِهِ، وَغُصَصُهُ تَرْتَفِعُ كَقِطَعِ الْجِرَّةِ، وَهُوَ فِي ذَلِكَ- رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِ- جَلْدُ الْعَقْلِ وَالْمَقَالَةِ، حَتَّى دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَكَبَّ عَلَيْهِ وَكَشَفَ وَجْهَهُ وَمَسَحَهُ، وَقَبَّلَ جَبِينَهُ، وَجَعَلَ يَبْكِي، وَيَقُولُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، طِبْتَ حَيًّا وَمَيِّتًا، وَانْقَطَعَ لِمَوْتِك مَا لَمْ يَنْقَطِعْ لِمَوْتِ أَحَدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِنَ النُّبُوَّةِ، فَعَظُمْتَ عَنِ الصِّفَةِ، وَجَلَلْتَ عَنِ الْبُكَاءِ، وَخَصَصْتَ حَتَّى صِرْتَ مَسْلَاةً، وَعَمَمْتَ حَتَّى صِرْنَا فِيكَ سَوَاءً، وَلَوْ أَنَّ مَوْتَك كَانَ اخْتِيَارًا لَجُدْنَا لِمَوْتِكَ بِالنُّفُوسِ، وَلَوْلَا أَنَّك نَهَيْتَ عَنِ الْبُكَاءِ لَأَنْفَدْنَا عَلَيْك مَاءَ الشُّئُونِ، فَأَمَّا مَا لَا نَسْتَطِيعُ نَفْيَهُ فَكَمَدٌ وَإِدْنَافٌ يَتَحَالَفَانِ لَا يَبْرَحَانِ، اللهُمَّ أَبْلِغْهُ عَنَّا، اذْكُرْنَا يَا مُحَمَّدُ عِنْدَ رَبِّكَ، وَلْنَكُنْ مِنْ بَالِك، فَلَوْلَا مَا خَلَّفْتَ مِنَ السَّكِينَةِ لَمْ نَقُمْ لِمَا خَلَّفْتَ مِنَ الْوَحْشَةِ، اللهُمَّ أَبْلِغْ نَبِيَّك عَنَّا، وَاحْفَظْهُ فِينَا. ثُمَّ خَرَجَ لَمَّا قَضَى النَّاسُ غَمَرَاتِهِمْ، وَقَامَ خَطِيبًا فِيهِمْ بِخُطْبَةٍ جُلُّهَا الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ وَقَالَ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَخَاتَمُ أَنْبِيَائِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ الْكِتَابَ كَمَا نَزَلَ، وَأَنَّ الدِّينَ كَمَا شَرَعَ، وَأَنَّ الْحَدِيثَ كَمَا حَدَّثَ، وَأَنَّ الْقَوْلَ كَمَا قَالَ،

وَأَنّ اللهَ هُـوَ الْحَـقُّ الْمُبِينُ. ثُمّ قَـالَ: أَيُّهَا النّـاسُ مَـنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمّـدًا، فَإِنّ مُحَمّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ فَإِنّ اللهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ. فَلَمّا فَرَغَ مِنْ خُطْبَتِهِ قَالَ: يَا عُمَرُ أَأَنْتَ الّذِي بَلَغَنِي عَنْك أَنّك تَقُولُ عَلَى بَابِ نَبِيّ اللهِ؛ وَالّذِي نَفْسُ عُمَرَ بِيَدِهِ مَا مَاتَ نَبِيُّ اللهِ؟ أَمَـا عَلِمْت أَنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ يَـوْمَ كَذَا: كَذَا وَكَذَا. وَقَالَ اللهُ عَـزّ وَجَلّ فِي كِتَابِـهِ ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾.[1] وقـال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾.[2] فَقَـالَ عُمَرُ: واللهِ لَكَأَنّي لَمْ أَسْمَعْ بِهَا فِي كِتَابِ اللهِ تَعَالَى قَبْلَ الْآنَ؛ لِمَا نَزَلَ بِنَا، أَشْهَدُ أَنّ الْكِتَابَ كَمَا نَزَلَ، وَأَنّ الْحَدِيثَ كَمَا حَدّثَ، وَأَنّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَيٌّ لَا يَمُوتُ، إِنّا للهِ وَإِنّـا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.[3]

وأما بلال بن رباح فلم يطق أن يقيم في المدينة بعد وفاة رسول الله ﷺ، فطلب من أبي بكر أن يجعله في الجند المجاهدين إلى الشام، وظل مرابطـا في سبيل الله سنوات، وأبى أن يؤذن لأحد بعد رسول الله ﷺ.

(1) سورة الزمر: الآية 30.

(2) سورة آل عمران: الآية 144.

(3) الروض الأُنُف (4/445). والسخ: ناحية من نواحي المدينة المنورة. وماء الشؤون: الدموع. وقوله: إدناف هو المرض اللازم.

وحينمـا قدم عمر -رضي الله عنه- إلى الشام لفتح بيت المقدس رجاه الناس أن يطلـب من بـلال أن يؤذن لهـم ففعل، فذكـر الناسُ النبـيَّ ﷺ، فلم يُـرَ يومًا أكثـر باكيًا منــه، وكان أكثرهم بكاء عمر.

وبعـد سنيـن رأى بـلال رسـول الله ﷺ فـي منامــه يقـول له: ما هذه الجفوة يا بلال؟ ما آن لك أن تزورنا. فركب إلى المدينة، وأتـى قبـر النبي ﷺ وجعل يبكـي عنده ويتمـرَّغ عليه، فأقبل الحسـن والحسين، فجعل يقبلهمـا ويضمهما، فقالا له: نشتهي أن تؤذن فـي السَّحَر. فعلا سطح المسجد فلمَّا قال: الله أكبر الله أكبـر. ارتجَّـت المدينـة، فلما قال: أشهــد أن محمدًا رسول الله. خرج النساء من خدورهنَّ، فما رئي يومٌ أكثر باكيًا وباكية من ذلك اليوم.[1]

وحينما دنا أجله وفي لحظاته الأخيرة من الحياة راحت تبكيه زوجته وترثي حاله، فنهاها وقال:

غدًا نلقى الأحبة   محمدًا وحزبه[2]

فقد كان بلال فرحًا بالموت؛ لأنه يقربه من لقاء الأحبة، سيدنا رسول الله ﷺ وصحبه الكرام.

---

(1) أورده ابن الأثير في أسد الغابة (1/307).

(2) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (10/475).

ثالثا

الحب الذي جمع بين رسول الله ﷺ وبين صاحبه الصديق أبي بكر في رحلة الهجرة

يؤخر رسول الله ﷺ صاحبه أبا بكر عن الهجرة كي يكون صاحبًا له فيها، فقد أَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَكَّةَ بَعْدَ أَصْحَابِهِ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ يَنْتَظِرُ أَنْ يُؤْذَنَ لَهُ فِي الْهِجْرَةِ، وَلَمْ يَتَخَلَّفْ مَعَهُ بِمَكَّةَ أَحَدٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ إِلّا مَنْ حُبِسَ أَوْ فُتِنَ إِلّا عَلِيّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي قُحَافَةَ الصِّدِّيقُ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ كَثِيرًا مَا يَسْتَأْذِنُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي الْهِجْرَةِ فَيَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَعْجَلْ؛ لَعَلّ اللهَ يَجْعَلُ لَك صَاحِبًا». فَيَطْمَعُ أَبُو بَكْرٍ أَنْ يَكُونَهُ.[1]

يوم الخروج:

وفي يوم الهجرة جاءه رسول الله ﷺ فوجده مستعدًّا ومتجهزًا فَقَالَ: «إِنّ اللهَ قَدْ أَذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ وَالْهِجْرَةِ». فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: الصُّحْبَةَ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: الصّحْبَةَ. قَالَت السيدة عائشة: فَوَاللهِ

(1) السيرة النبوية (3/5).

مَـــا شُعُرْت قَطُّ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ أَنَّ أَحَدًا يَبْكِي مِنَ الْفَرَحِ حَتَّى رَأَيْت أَبَا بَكْرٍ يَبْكِي يَوْمئذ.[1]

يفرح أبو بكر بمصاحبة حبيبه رسول الله ﷺ في هجرته، وقد كانت أصعب وأخطر هجرة في التاريخ، فقد أحاطت قريش ركب رسول الله ﷺ بالتهديد والتخويف والمطاردة، ورصدت جائزة لمن يدل عليه أو يقطع عليه طريقه، مائة ناقة. والذي جعل أبا بكر سعيدًا فرحًا بهذه المخاطرة مقبلاً عليها إنما هو الحب.

وفـي الطريـق:

خَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ إِلَى الْغَارِ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ فَجَعَلَ يَمْشِي سَاعَةً بَيْـنَ يَدَيْهِ وَسَاعَةً خَلْفَهُ حَتّى فَطِنَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ، فَسَأَلَهُ، فَقَالَ لَهُ: يَا رَسُولَ الله أَذْكُرُ الطَّلَبَ فَأَمْشِي خَلْفَك، ثُمَّ أَذْكُرُ الرَّصدَ فَأَمْشِي بَيْـنَ يَدَيْـك، فَقَـالَ: «يا أَبَا بَكْرٍ لَوْ كَانَ شَـيْءٌ أَحْبَبْت أَنْ يَكُونَ بِكَ دُونِـي ؟» قَالَ: نَعَمْ وَالَّذِي بَعَثَك بِالْحَقِّ ما كانت لتكون من مُلِمَّة إلا أن تكون بي دونك.[2]

فـي الْغَـار:

وأمـا عن حاله فـي الغار فقد قال تعالـى عنه: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا

---

(1) المصدر السابق (3/11).

(2) أخرجه الحَاكِمُ في مُسْتَدْرَكِهِ (3/7 رقم 4268) عن عمر وقال: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين لولا إرسال فيه، ولم يخرجاه. وأقره الذهبي فقال: صحيح مرسل.

﴿فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ﴾.[1]

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ثُمَّ عَمَدَ إِلَى غَارٍ بِثَوْرٍ – جَبَلٍ بِأَسْفَلِ مَكَّةَ – ولما انْتَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ إِلَى الْغَارِ لَيْلًا، فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَبْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَلَمَسَ الْغَارَ لِيَنْظُرَ أَفِيهِ سَبُعٌ أَوْ حَيَّةٌ، يَقِي رَسُولَ اللهِ ﷺ بِنَفْسِهِ.

عن أنس بن مالك قال: لما كان ليلة الغار قال أبو بكر: يا رسول الله ﷺ دعني فلأدخل قبلك؛ فإن كانت حية أو شيء كانت لي قبلك. فدخل أبو بكر فجعل يلتمس بيديه فكلما رأى جحرًا جاء بثوبه فشقه ثم ألقمه الحجر، حتى فعل ذلك بثوبه أجمع، قال: فبقى جحر فوضع عقبه عليه، ثم أدخل رسول الله ﷺ قال: فلما أصبح قال له النبي ﷺ: «فأين ثوبك يا أبا بكر؟» فأخبره بالذي صنع، فرفع النبي ﷺ يده فقال: «**اللهم اجعل أبا بكر معي في درجتي يوم القيامة**». فأوحى الله تعالى: إليه إن الله قد استجاب لك.

فَدَخَلَاهُ وَأَمَرَ أَبُو بَكْرٍ ابْنَهُ عَبْدَ اللهِ بْنَ أَبِي بَكْرٍ أَنْ يَتَسَمَّعَ لَهُمَا مَا يَقُولُ النَّاسُ فِيهِمَا نَهَارَهُ ثُمَّ يَأْتِيهِمَا إِذَا أَمْسَى بِمَا يَكُونُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنْ الْخَبَرِ؛ وَأَمَرَ عَامِرَ بْنَ فُهَيْرَةَ مَوْلَاهُ أَنْ يَرْعَى غَنَمَهُ نَهَارَهُ

---

(1) سورة التوبة: آية 40.

ثُمَّ يُرِيحُهَا عَلَيْهِمَا، يَأْتِيهِمَا إِذَا أَمْسَى فِي الْغَارِ. وَكَانَتْ أَسمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ تَأْتِيهِمَا مِنَ الطَّعَامِ إِذَا أَمْسَتْ بِمَا يُصْلِحُهُمَا.[1]

ولقبت بذات النطاقين، وَتَفْسِيرُهُ أَنَّهَا لَمَّا أَرَادَتْ أَنْ تُعَلِّقَ السُّفْرَةَ شَقَّتْ نِطَاقَهَا لاثْنَيْنِ فَعَلَّقَتِ السُّفْرَةَ بِوَاحِدٍ وَانْتَطَقَتْ بِالآخَرِ.

وعَنْهَا -رَضِيَ اللهُ عنها- قَالَتْ: لَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَتَانَا نَفَرٌ مِنْ قُرَيْشٍ، فِيهِمْ أَبُو جَهْلِ بْنُ هِشَامٍ، فَوَقَفُوا عَلَى بَابِ أَبِي بَكْرٍ فَخَرَجْتُ إِلَيْهِمْ فَقَالُوا: أَيْنَ أَبُوك يَا بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ؟ قَالَتْ قُلْتُ: لَا أَدْرِي وَاللهِ أَيْنَ أَبِي؟ قَالَتْ: فَرَفَعَ أَبُو جَهْلٍ يَدَهُ وَكَانَ فَاحِشًا خَبِيثًا، فَلَطَمَ خَدِّي لَطْمَةً طُرِحَ مِنْهَا قُرْطِي.[2]

الخروج من الغار واستكمال طريق الهجرة:

وفي أثناء الطريق نرى أبا بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يروي بعض التفاصيل الدقيقة التي تكشف كيف كان يحب رسول الله ﷺ ويصدق في خدمته، ويخشى عليه من أبسط وأدق الأشياء، كالتراب والقذى على ضرع الشاة، أو من حرارة اللبن، خاصة أنهم في ظروف غير عادية.

---

(1) أورده ابن هشام في السيرة النبوية (12/3) وأخرج بعضه أبو نعيم في حلية الأولياء (33/1)..

(2) السيرة النبوية (14/3).

قَـالَ أبـو بكـر: نَعَـمْ، أَسْرَيْنَا لَيْلَتَنَـا وَمِنَ الْغَـدِ حَتَّى قَـامَ قَائِمُ الظَّهِيـرَةِ، وَخَلَا الطَّرِيقُ لَا يَمُرُّ فِيهِ أَحَـدٌ، فَرُفِعَتْ لَنَا صَخْرَةٌ طَوِيلَةٌ لَهَا ظِلٌّ لَمْ تَأْتِ عَلَيْهِ الشَّمْسُ، فَنَزَلْنَا عِنْدَهُ وَسَوَّيْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ مَكَانًا بِيَـدِي يَنَامُ عَلَيْهِ، وَبَسَطْتُ فِيهِ فَرْوَةً. وَقُلْتُ: نَمْ يَا رَسُولَ اللهِ، وَأَنَا أَنْفُضُ لَكَ مَا حَوْلَكَ. فَنَامَ، وَخَرَجْتُ أَنْفُضُ مَا حَوْلَهُ، فَإِذَا أَنَا بِرَاعٍ مُقْبِـلٍ بِغَنَمِـهِ إِلَى الصَّخْـرَةِ يُرِيدُ مِنْهَـا مِثْلَ الَّذِي أَرَدْنَـا، فَقُلْتُ لَهُ: لِمَـنْ أَنْتَ يَا غُلَامُ؟ فَقَالَ: لِرَجُلٍ مِنْ أَهْـلِ الْمَدِينَةِ أَوْ مَكَّةَ. قُلْتُ: أَفِي غَنَمِـكَ لَبَنٌ؟ قَـالَ: نَعَمْ. قُلْتُ: أَفَتَحْلُبُ؟ قَالَ: نَعَـمْ. فَأَخَذَ شَاةً، فَقُلْتُ: انْفُضِ الضَّرْعَ مِنَ التُّرَابِ وَالشَّعَرِ وَالْقَذَى. فَحَلَبَ فِي قَعْبٍ كُثْبَةً مِنْ لَبَـنٍ، وَمَعِي إِدَاوَةٌ حَمَلْتُهَا لِلنَّبِيِّ ﷺ يَرْتَوِي مِنْهَا، يَشْرَبُ وَيَتَوَضَّأُ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُ، فَوَافَقْتُهُ حِينَ اسْتَيْقَظَ، فَصَبَبْتُ مِنَ الْمَاءِ عَلَى اللَّبَـنِ حَتَّى بَرَدَ أَسْفَلُهُ، فَقُلْتُ: اشْرَبْ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: فَشَرِبَ حَتَّى رَضِيتُ، ثُمَّ قَالَ: أَلَمْ يَأْنِ لِلرَّحِيلِ؟ قُلْتُ: بَلَى. قَالَ: فَارْتَحَلْنَـا بَعْدَمَا مَالَتِ الشَّمْسُ، وَاتَّبَعَنَا سُرَاقَةُ بْـنُ مَالِكٍ. فَقُلْتُ: أُتِينَا يَا رَسُولَ اللهِ فَقَالَ: (لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا).[1]

ويقـر رسـول الله ﷺ لصاحبه بالفضل ويشهـر منته عليه بين أصحابه، قَالَ: «مَا لِأَحَدٍ عِنْدَنَا يَدٌ إِلاَّ وَقَدْ كَافَيْنَاهُ مَا خَلاَ أَبَا بَكْرٍ،

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه (3/1323) رقم (3419) والآية من سورة التوبة (40).

فَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا يَدًا يُكَافِئُهُ اللهُ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَا نَفَعَنِي مَالُ أَحَدٍ قَطُّ مَا نَفَعَنِي مَالُ أَبِي بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلاً لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً، أَلاَ وَإِنَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلُ اللهِ».[1]

وزاد في رواية: فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ وَقَالَ: هَلْ أَنَا وَمَالِي إِلاَّ لَكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟[2]

وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ آخِذًا بِطَرَفِ ثَوْبِهِ حَتَّى أَبْدَى عَنْ رُكْبَتِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَمَّا صَاحِبُكُمْ فَقَدْ غَامَرَ». فَسَلَّمَ، وَقَالَ: إِنِّي كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ ابْنِ الْخَطَّابِ شَيْءٌ فَأَسْرَعْتُ إِلَيْهِ، ثُمَّ نَدِمْتُ، فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَغْفِرَ لِي فَأَبَى عَلَيَّ، فَأَقْبَلْتُ إِلَيْكَ فَقَالَ: «يَغْفِرُ اللهُ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ». ثَلاَثًا.

ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ نَدِمَ فَأَتَى مَنْزِلَ أَبِي بَكْرٍ، فَسَأَلَ: أَثَمَّ أَبُو بَكْرٍ. فَقَالُوا: لاَ. فَأَتَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَسَلَّمَ، فَجَعَلَ وَجْهُ النَّبِيِّ ﷺ يَتَمَعَّرُ حَتَّى أَشْفَقَ أَبُو بَكْرٍ، فَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَاللهِ أَنَا كُنْتُ

---

(1) أخرجه الترمذي (5/609) رقم (3661) عن أبي هريرة. وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

(2) أخرجه ابن ماجه في سننه (1/36) رقم (94) وابن حبان في صحيحه (15/273) رقم (6858) عن أبي هريرة، قال البوصيري في مصباح الزجاجة (1/16): ورجال إسناده ثقات.

أَظْلَـمَ. مَرَّتَيْنِ. فَقَـالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ: كَذَبْتَ. وَقَــالَ أَبُو بَكْرٍ: صَدَقَ. وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُو لِي صَاحِبِي». مَرَّتَيْنِ. فَمَا أُوذِيَ بَعْدَهَا.[1]

وفي لحظة الفراق:

وحينما اقتربت لحظة الفراق بين الصاحبين والحبيبين يروي أَبُـو سَعِيـدٍ الْخُدْرِيُّ قَالَ: خَطَبَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَـالَ: «إِنَّ اللَّه خَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ». فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه. فَقُلْـتُ فِــي نَفْسِي مَا يُبْكِي هَـذَا الشَّيْـخَ إِنْ يَكُنِ اللَّهُ خَيَّـرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَـا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ؟ فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ الْعَبْدَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا.

فقَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ لاَ تَبْكِ، إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُــو بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيــلاً مِنْ أُمَّتِي لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الإِسْلاَمِ وَمَوَدَّتُــهُ، لاَ يَبْقَيَنَّ فِي الْمَسْجِدِ بَابٌ إِلاَّ سُدَّ إِلاَّ بَابُ أَبِي بَكْرٍ».[2]

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه (3/1339 رقم 3461).

(2) أخرجه البخاري في صحيحه (1/177 رقم 454).

الحب الذي جمع بينه ﷺ وبين زوجه خديجة

بيّن رسول الله ﷺ مكانة السيدة خديجة عنده وفضلها في نصرة دين الله، فقال: «**أَفْضَلُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ: خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَآسِيَةُ بِنْتُ مُزَاحِمٍ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ**».(1)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ثُمَّ إِنَّ خَدِيجَةَ بِنْتَ خُوَيْلِدٍ وَأَبَا طَالِبٍ هَلَكَا فِي عَامٍ وَاحِدٍ، فَتَتَابَعَتْ على رسول الله ﷺ الْمَصَائِبُ بِهُلْكِ خَدِيجَةَ، وَكَانَتْ لَهُ وَزِيرَ صِدْقٍ عَلَى الْإِسْلَامِ يَشْكُو إلَيْهَا.(2)

وعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا ذَكَرَ خَدِيجَةَ أَثْنَى عَلَيْهَا فَأَحْسَنَ الثَّنَاءَ – قَالَتْ – فَغِرْتُ يَوْمًا، فَقُلْتُ: مَا أَكْثَرَ مَا تَذْكُرُهَا حَمْرَاءَ الشِّدْقِ، قَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا خَيْرًا مِنْهَا. قَالَ: «**مَا أَبْدَلَنِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرًا مِنْهَا، قَدْ آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ بِي النَّاسُ،**

---

(1) أخرجه أحمد في مسنده (1/293) رقم (2668) وابن حبان في صحيحه (15/470) رقم (7010) والطبراني في الكبير (11/336) رقم (11928) كلهم عن ابن عباس. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (9/223) رجالهم رجال الصحيح.

(2) السيرة النبوية (2/264).



وَصَدَّقَتْنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ، وَوَاسَتْنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ، وَرَزَقَنِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلَدَهَا إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَادَ النِّسَاءِ».[1]

وكان رسول الله ﷺ يبر خديجة ويكشف عن مكنون حبها في قلبه بعد موتها بصلة أحبابها وأصدقائها، فعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: دَخَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ امْرَأَةٌ، فَأُتِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِطَعَامٍ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنَ الطَّعَامِ وَيَضَعُ بَيْنَ يَدَيْهَا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لا تَغْمُرْ يَدَيْكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ هَذِهِ كَانَتْ تَأْتِينَا أَيَّامَ خَدِيجَةَ، وَإِنَّ حُسْنَ الْعَهْدِ، -أَوْ حفظَ الْعَهْدِ- مِنَ الإِيمَانِ».[2]

وعنها رضي الله عنها قالت: مَا غِرْتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ، وَمَا بِي أَنْ أَكُونَ أَدْرَكْتُهَا، وَمَا ذَاكَ إِلاَّ لِكَثْرَةِ ذِكْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَهَا، وَإِنْ كَانَ لَيَذْبَحُ الشَّاةَ فَيَتَتَبَّعُ بِهَا صَدَائِقَ خَدِيجَةَ فَيُهْدِيهَا لَهُنَّ.[3]

وعنها أيضًا قالت: اسْتَأْذَنَتْ هَالَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ أُخْتُ خَدِيجَةَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَشَبَّهَهُ بِاسْتِئْذَانِ خَدِيجَةَ، فَارْتَاحَ لِذَلِكَ، فَقَالَ: «اللهمَّ هَالَةُ». فَغِرْتُ. وَمَا غِرْتُ عَلَى أَحَدٍ مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ.[4]

---

(1) أخرجه أحمد في مسنده (6/117) رقم (24908). قال الهيثمي في مجمع الزوائد (9/229): إسناده حسن.

(2) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (23/14 رقم 23). قال المناوي في فيض القدير (2/447): قال الحاكم على شرطهما ولا علة له. وأقره الذهبي.

(3) أخرجه الترمذي في سننه (5/702 رقم 3875). وقال حديث حسن غريب صحيح.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه (3/1389 رقم 3610) ومسلم في صحيحه (4/1889 رقم 2437).

الحبُّ الذي جمع بينه ﷺ وبينَ زوجِه عائشة

سأل عمرُو بنُ العاصِ رسولَ اللهِ ﷺ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «عَائِشَةُ». وكانت خلفَه جالسةً فقَالَ: مِنَ الرِّجَالِ؟ فقَالَ: «أَبُوهَا». فقَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ». فَعَدَّ رِجَالاً.(1)

وَعَنْ عَائِشَةَ رضي اللهُ عنها قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي لأَعْلَمُ إِذَا كُنْتِ عَنِّي رَاضِيَةً، وَإِذَا كُنْتِ عَلَيَّ غَضْبَى». قَالَتْ: فَقُلْتُ: مِنْ أَيْنَ تَعْرِفُ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: «أَمَّا إِذَا كُنْتِ عَنِّي رَاضِيَةً فَإِنَّكِ تَقُولِينَ لاَ وَرَبِّ مُحَمَّدٍ، وَإِذَا كُنْتِ غَضْبَى قُلْتِ لاَ وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ». قَالَتْ: قُلْتُ: أَجَلْ، وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، مَا أَهْجُرُ إِلاَّ اسْمَكَ.(2)

وَعَنْهَا –رَضِيَ اللهُ عَنْهَا– قَالَتْ: لَمَّا كَانَ لَيْلَةٌ مِنَ اللَّيَالِي، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا عَائِشَةُ، ذَرِينِي أَتَعَبَّدُ اللَّيْلَةَ لِرَبِّي» قُلْتُ: وَاللهِ إِنِّي

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه (4/1584 رقم 4100)، ومسلم في صحيحه (4/1856 رقم 2384).

(2) أخرجه البخاري في صحيحه (5/2004) رقم (4930).

لأُحِبُّ قُرْبَــكَ، وَأُحِبُّ مَا سَرَّكَ، قَالَتْ: فَقَامَ فَتَطَهَّـرَ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي. قَالَــتْ: فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ حِجْرَهُ. قَالَتْ: ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّـى بَـلَّ لِحْيَتَـهُ. قَالَتْ: ثُمَّ بَكَى فَلَـمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَـلَّ الأَرْضَ، فَجَـاءَ بِلاَلٌ يُؤْذِنُهُ بِالصَّـلاَةِ، فَلَمَّا رَآهُ يَبْكِي، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، لِمَ تَبْكِـي وَقَـدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَـدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَـالَ: «أَفَلاَ أَكُونُ عَبْدًا شَكُـورًا، لَقَدْ نَزَلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ آيَةٌ، وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الآيَةَ كُلَّهَا.[1]

(1) أخرجه ابن حبان في صحيحه (2/386) رقم (620) وفي أخلاق النبي لأبي الشيخ أتاني في ليلتي، حتى إذا دخل معي في لحافي، وألزق جلده بجلدي، قال: يا عائشة ائذني لي، أتعبد لربي (3/120 رقم (544).

حب رسولِ اللهِ ﷺ لابنتِه فاطمة الزهراءِ

سُئِلَتِ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ: أَيُّ النَّاسِ كَانَ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قَالَتْ: فَاطِمَةُ.

وَعَنْهَا رضي اللهُ عنها قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَشْبَهَ سَمْتًا وَدَلاًّ وَهَدْيًا بِرَسُولِ اللهِ فِي قِيَامِهَا وَقُعُودِهَا مِنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ. قَالَتْ: وَكَانَتْ إِذَا دَخَلَتْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ قَامَ إِلَيْهَا فَقَبَّلَهَا وَأَجْلَسَهَا فِي مَجْلِسِهِ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهَا قَامَتْ مِنْ مَجْلِسِهَا فَقَبَّلَتْهُ وَأَجْلَسَتْهُ فِي مَجْلِسِهَا، فَلَمَّا مَرِضَ النَّبِيُّ ﷺ دَخَلَتْ فَاطِمَةُ فَأَكَبَّتْ عَلَيْهِ فَقَبَّلَتْهُ، ثُمَّ رَفَعَتْ رَأْسَهَا فَبَكَتْ، ثُمَّ أَكَبَّتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ رَفَعَتْ رَأْسَهَا فَضَحِكَتْ، فَقُلْتُ: إِنْ كُنْتُ لأَظُنُّ أَنَّ هَذِهِ مِنْ أَعْقَلِ نِسَائِنَا، فَإِذَا هِيَ مِنَ النِّسَاءِ. فَلَمَّا تُوُفِّيَ النَّبِيُّ ﷺ قُلْتُ لَهَا: أَرَأَيْتِ حِينَ أَكْبَبْتِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَرَفَعْتِ رَأْسَكِ فَبَكَيْتِ، ثُمَّ أَكْبَبْتِ عَلَيْهِ فَرَفَعْتِ رَأْسَكِ فَضَحِكْتِ، مَا حَمَلَكِ عَلَى ذَلِكَ؟ قَالَتْ: إِنِّي إِذًا لَبَذِرَةٌ،

أَخْبَرَنِي أَنَّهُ مَيِّتٌ مِنْ وَجَعِهِ هَذَا فَبَكَيْتُ، ثُمَّ أَخْبَرَنِي أَنِّي أَسْرَعُ أَهْلِهِ لُحُوقًا بِهِ فَذَاكَ حِينَ ضَحِكْتُ.[1]

(1) أخرجه الترمذي في سننه (5/700) رقم (3872) وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن عائشة. والحاكم في المستدرك (4/303) رقم (7715) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة إنما اتفقا على حديث الشعبي عن مسروق عن عائشة. وأقره الذهبي.

سابعًا

حبُّ رسولِ اللهِ ﷺ لابنتِه زينبَ وقصةُ الحبِّ بينها وبينَ زوجِها العاصِ بنِ الربيعِ

قال ابن إسحاقَ: وُلِدَتْ زينبُ في سنةِ ثلاثين من مولدِ النبيِّ ﷺ، وأدركتِ الإسلامَ وأسلمتْ وهاجرتْ، وكان رسول اللهِ ﷺ محبًّا لها.[1]

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كَانَ أَبُو الْعَاصِ بْنُ الرَّبِيعِ مِنْ رِجَالِ مَكَّةَ الْمَعْدُودِينَ مَالًا وَأَمَانَةً وَتِجَارَةً، وَكَانَ ابْنًا لِهَالَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ، وَكَانَتْ خَدِيجَةُ خَالَتَهُ، وَكَانَتْ تَعُدُّهُ بِمَنْزِلَةِ وَلَدِهَا؛ فَسَأَلَتْ خَدِيجَةُ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنْ يُزَوِّجَهُ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَا يُخَالِفُهَا، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ، فَزَوَّجَهُ زينبَ.

فَلَمَّا أَكْرَمَ اللهُ رَسُولَهُ ﷺ بِنُبُوَّتِهِ آمَنَتْ بِهِ خَدِيجَةُ وَبَنَاتُهُ فَصَدَّقْتَهُ وَشَهِدْنَ أَنَّ مَا جَاءَ بِهِ الْحَقُّ، وَدِنَّ بِدِينِهِ وَثَبَتَ أَبُو الْعَاصِ عَلَى شِرْكِهِ.

وَلَمَّا بَادَى رسول الله ﷺ قُرَيْشًا بِأَمْرِ اللهِ تَعَالَى قَالُوا: رُدُّوا عَلَيْهِ بَنَاتِهِ فَاشْغَلُوهُ بِهِنَّ. وَمَشَوْا إِلَى أَبِي الْعَاصِ فَقَالُوا لَهُ: فَارِقْ

(1) الاستيعاب، لابن عبد البر (4/1854).

صَاحِبَتَك وَنَحْنُ نُزَوِّجُك أَيَّ امْرَأَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ شِئْتَ. قَالَ: لَا وَاللهِ إِنِّي لَا أُفَارِقُ صَاحِبَتِي، وَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِامْرَأَتِي امْرَأَةً مِنْ قُرَيْشٍ.

وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُثْنِي عَلَيْهِ فِي صِهْرِهِ خَيْرًا.

فَأَقَامَتْ مَعَهُ زَيْنَبُ عَلَى إِسْلَامِهَا وَهُوَ عَلَى شِرْكِهِ حَتَّى هَاجَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ. وَثَبَتَ أَبُو الْعَاصِ بْنُ الرَّبِيعِ على الشرك، فَلَمَّا صَارَتْ قُرَيْشٌ إِلَى بَدْرٍ صَارَ فِيهِمْ فَأُصِيبَ فِي الْأُسَارَى يَوْمَ بَدْرٍ، فَكَانَ بِالْمَدِينَةِ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: لَمَّا بَعَثَ أَهْلُ مَكَّةَ فِي فِدَاءِ أُسَرَائِهِمْ، بَعَثَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي فِدَاءِ أَبِي الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ بِمَالٍ وَبَعَثَتْ فِيهِ بِقِلَادَةٍ لَهَا كَانَتْ خَدِيجَةُ أَدْخَلَتْهَا بِهَا عَلَى أَبِي الْعَاصِ حِينَ بَنَى عَلَيْهَا، قَالَتْ: فَلَمَّا رَآهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ رَقَّ لَهَا رِقَّةً شَدِيدَةً، وَقَالَ: «إِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تُطْلِقُوا لَهَا أَسِيرَهَا، وَتَرُدُّوا عَلَيْهَا مَالَهَا، فَافْعَلُوا». فَقَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ. فَأَطْلَقُوهُ وَرَدُّوا عَلَيْهَا الَّذِي لَهَا.

وعاد أَبُو الْعَاصِ إِلَى مَكَّةَ، حَتَّى إِذَا كَانَ قُبَيْلَ الْفَتْحِ خَرَجَ أَبُو الْعَاصِ تَاجِرًا إِلَى الشَّامِ، وَكَانَ رَجُلًا مَأْمُونًا بِمَالٍ لَهُ وَأَمْوَالٍ لِرِجَالٍ مِنْ قُرَيْشٍ، أَبْضَعُوهَا مَعَهُ فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ تِجَارَتِهِ وَأَقْبَلَ قَافِلًا، لَقِيَتْهُ سَرِيَّةٌ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَصَابُوا مَا مَعَهُ وَأَعْجَزَهُمْ

هَـارِبًـا، فَلَمَّـا قَدِمَتْ السَّرِيَّةُ بِمَا أَصَابُوا مِنْ مَالِـهِ أَقْبَلَ أَبُو الْعَاصِ تَحْتَ اللَّيْلِ حَتَّى دَخَلَ عَلَى زَيْنَبَ بِنْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَاسْتَجَارَ بِهَا، فَأَجَارَتْهُ، وَجَاءَ فِي طَلَبِ مَالِهِ فَلَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الصُّبْحِ. قَالَـت زينب: أَيُّهَـا النَّـاسُ إِنِّي قَدْ أَجَرْتُ أَبَا الْعَاصِ بْنَ الرَّبِيعِ. قَالَ: فَلَمَّـا سَلَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الصَّـلاَةِ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ هَلْ سَمِعْتُمْ مَا سَمِعْتُ؟» قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: «أَمَا وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَـدِهِ مَا عَلِمْتُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ حَتَّـى سَمِعْتُ مَا سَمِعْتُمْ، إِنَّهُ يُجِيرُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَدْنَاهُمْ»، ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَدَخَلَ عَلَـى ابْنَتِهِ فَقَالَ: «أَيْ بُنَيَّـةُ، أَكْرِمِي مَثْوَاهُ وَلاَ يَخْلُصَنَّ إِلَيْك، فَإِنَّك لاَ تَحِلِّينَ لَهُ».

وَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى السَّرِيَّةِ الَّذِينَ أَصَابُوا مَالَ أَبِي الْعَاصِ فَقَالَ لَهُمْ: «إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ مِنَّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتُمْ، وَقَدْ أَصَبْتُمْ لَهُ مَالاً، فَـإِنْ تُحْسِنُوا وَتَرُدُّوا عَلَيْهِ الَّذِي لَهُ، فَإِنَّا نُحِبُّ ذَلِكَ وَإِنْ أَبَيْتُمْ فَهُوَ فَيْءُ اللهِ الَّذِي أَفَاءَ عَلَيْكُمْ فَأَنْتُمْ أَحَقُّ بِهِ». فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، بَلْ نَرُدُّهُ عَلَيْهِ. فَرَدُّوهُ عَلَيْهِ حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَأْتِي بِالدَّلْوِ، وَيَأْتِي الرَّجُلُ بِالشَّنَّةِ وَبِالإِدَاوَةِ، حَتَّى إِنَّ أَحَدَهُمْ لَيَأْتِي بِالشِّظَاظِ حَتَّى رَدُّوا عَلَيْهِ مَالَـهُ بِأَسْـرِهِ لاَ يَفْقِدُ مِنْهُ شَيْئًا، ثُمَّ احْتَمَلَ إِلَـى مَكَّةَ، فَأَدَّى إِلَى كُلِّ ذِي مَالٍ مِنْ قُرَيْشٍ مَالَهُ، وَمَنْ كَانَ أَبْضَعَ مَعَهُ. ثُمَّ قَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، هَلْ بَقِيَ لأَحَدٍ مِنْكُمْ عِنْدِي مَالٌ لَمْ يَأْخُذْهُ؟ قَالُوا: لاَ. فَجَزَاك

اللهُ خَيْرًا؛ فَقَدْ وَجَدْنَاك وَفِيًّا كَرِيمًا. قَالَ: فَأَنَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، والله مَا مَنَعَنِي مِنَ الْإِسْلَامِ عِنْدَهُ إِلَّا تَخَوُّفُ أَنْ تَظُنُّوا أَنِّي إِنَّمَا أَرَدْت أَنْ آكُلَ أَمْوَالَكُمْ. فَلَمَّا أَدَّاهَا اللهُ إِلَيْكُمْ وَفَرَغْتُ مِنْهَا أَسْلَمْتُ. ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ.

فَرَدَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ زَيْنَبَ عَلَى النِّكَاحِ الْأَوَّلِ لَمْ يُحْدِثْ شَيْئًا بَعْدَ سِتِّ سِنِينَ.[1]

(1) السيرة النبوية (3/203-210).

حبُّ رسولِ الله ﷺ لأحفاده الحسن والحسين وغيرهما

كان ﷺ يقبلهما بحنان ورحمة، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه قَالَ: قَبَّلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ، وَعِنْدَهُ الأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ جَالِسًا. فَقَالَ الأَقْرَعُ: إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الْوَلَدِ، مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا. فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ: «مَنْ لاَ يَرْحَمُ لاَ يُرْحَمُ».[1]

وكان يحملهما في صلاته بالناس إمامًا، فعَنْ شَدَّادِ بْنِ الْهَادِ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي إِحْدَى صَلاَتَيِ الْعِشَاءِ وَهُوَ حَامِلٌ حَسَنًا أَوْ حُسَيْنًا، فَتَقَدَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَوَضَعَهُ ثُمَّ كَبَّرَ لِلصَّلاَةِ فَصَلَّى فَسَجَدَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ صَلاَتِهِ سَجْدَةً أَطَالَهَا، قَالَ أَبِي: فَرَفَعْتُ رَأْسِي وَإِذَا الصَّبِيُّ عَلَى ظَهْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَرَجَعْتُ إِلَى سُجُودِي، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ الصَّلاَةَ قَالَ النَّاسُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّكَ سَجَدْتَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ صَلاَتِكَ سَجْدَةً أَطَلْتَهَا حَتَّى

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه (5/2235 رقم 5651).

ظَنَنَّـا أَنَّـهُ قَدْ حَدَثَ أَمْـرٌ أَوْ أَنَّهُ يُوحَـى إِلَيْكَ. قَـالَ: «كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ وَلَكِنَّ ابْنِي ارْتَحَلَنِي فَكَرِهْتُ أَنْ أُعَجِّلَهُ حَتَّى يَقْضِيَ حَاجَتَهُ».[1]

وكان يلاعبهما ويشاركهما المرح، فعَنْ يَعْلَى بن مُرَّةَ العامريِّ، قَـالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَدُعِينَـا إِلَى طَعَامٍ، فَإِذَا الْحُسَيْنُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَلْعَبُ فِي الطَّرِيقِ، فَأَسْرَعَ النَّبِيُّ ﷺ أَمَامَ الْقَوْمِ، ثُمَّ بَسَطَ يَدَيْهِ، فَجَعَـلَ حُسَيْنٌ يَمُرُّ مَرَّةً هَاهُنَا وَمَرَّةً هَاهُنَا، فَيُضَاحِكُهُ حَتَّى أَخَذَهُ، فَجَعَلَ إِحْدَى يَدَيْهِ فِي ذَقَنِهِ، وَالأُخْرَى بَيْنَ رَأْسِهِ وَأُذُنَيْهِ، ثُمَّ اعْتَنَقَهُ فَقَبَّلَهُ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «حُسَيْنٌ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ، أَحَبَّ اللهُ مَنْ أَحَبَّهُ، الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سِبْطَانِ مِنَ الأَسْبَاطِ».[2]

وعَنْ أَبِـي هُرَيْرَةَ، قَالَ: سَمِعَتْ أُذُنَـايَ هَاتَـانِ، وَأَبْصَرَتْ عَيْنَايَ هَاتَـانِ رَسُـولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ آخِـذٌ بِكَفَّيْـهِ جَمِيعًا حَسَنًـا أَوْ حُسَيْنًا وَقَدَمَـاهُ عَلَى قَدَمَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهُوَ يَقُـولُ: «حُزُقَّةٌ حُزُقَّةٌ ارْقَ عَيْـنَ بَقَّـةٍ»، فَيَرْقَـى الْغُلامُ حَتَّـى يَضَعَ قَدَمَيْـهِ عَلَى صَدْرِ رَسُولِ

---

(1) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (1/243 رقم 727)، وأحمد في مسنده (6/467 رقم 27688) والحاكم في المستدرك (3/181 رقم 4775). هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وأقره الذهبي.

(2) أخرجه الترمذي في سننه (5/658 رقم 3775). وقال: حديث حسن، وابن ماجه في سننه (1/51 رقم 144)، والحاكم في المستدرك (3/194 رقم 4820)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وأقره الذهبي.

اللهِ ﷺ، ثُـمَّ قَـالَ لَـهُ: «افْتَحْ».قَالَ: ثُـمَّ قَبَّلَهُ، ثُمَّ قَـالَ: «اللـهمَّ أَحِبَّهُ فَإِنِّي أُحِبُّهُ».[1]

وَالْحُزُقَّةُ: الضَّعِيـفُ الْمُتَقَارِبُ الْخَطْوِ مِنْ ضَعْفِهِ. وَقِيلَ: الْقَصِيرُ الْعَظِيمُ الْبَطْنِ. وَذَكَرَهَا لَـهُ عَلَى سَبِيلِ الْمُدَاعَبَةِ وَالتَّأْنِيسِ لَهُ. تَرَقَّ: اصْعَدْ. عَيْنَ بَقَّةٍ: كِنَايَةٌ عَنْ صِغَرِ الْعَيْنِ.

وكذلـك كان يلاعـب بقية الأطفـال من بني عبـد المطلب، فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْحَارِثِ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَصُفُّ عَبْدَ اللهِ وَعُبَيْدَ اللهِ وَكَثِيـرًا مِـنْ بَنِي الْعَبَّاسِ، فَيُفَرِّجُ يَدَيْـهِ هَكَذَا، فَيَمُـدُّ بَاعَهُ، ثُمَّ يَقُـولُ: «مَنْ سَبَقَ إِلَيَّ فَلَهُ كَذَا وَكَذَا». قَـالَ: فَيَسْتَبِقُونَ إِلَيْهِ فَيَقَعُونَ عَلَى ظَهْرِهِ وَصَدْرِهِ فَيُقَبِّلُهُمْ وَيَلْزَمُهُمْ.[2]

---

(1) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير (3/49 رقم 2653)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (9/176): رواه الطبراني وفيه أبو مزرد ولم أجد من وثقه وبقية رجاله رجال الصحيح.
(2) أخرجه أحمد بن حنبل (1/214 رقم 1836)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (37/475) من طرق أخرى.

حب رسول الله ﷺ لعمه أبي طالب وحب عمه له

وَكَانَ مِنْ نِعْمَةِ اللهِ عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَمِمَّا صَنَعَ اللهُ لَهُ وَأَرَادَهُ بِهِ مِنَ الْخَيْرِ أَنَّ قُرَيْشًا أَصَابَتْهُمْ أَزْمَةٌ شَدِيدَةٌ وَكَانَ أَبُو طَالِبٍ ذَا عِيَالٍ كَثِيرٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِلْعَبّاسِ عَمِّهِ وَكَانَ مِنْ أَيْسَرِ بَنِي هَاشِمٍ: «**يَا عَبّاسُ إِنّ أَخَاكَ أَبَا طَالِبٍ كَثِيرُ الْعِيَالِ وَقَدْ أَصَابَ النّاسَ مَا تَرَى مِنْ هَذِهِ الْأَزْمَةِ فَانْطَلِقْ بِنَا إِلَيْهِ فَلْنُخَفِّفْ عَنْهُ مِنْ عِيَالِهِ آخُذُ مِنْ بَنِيهِ رَجُلًا، وَتَأْخُذُ أَنْتَ رَجُلًا**» فَنَكَلُهُمَا عَنْهُ. فَقَالَ الْعَبّاسُ: نَعَمْ. فَانْطَلَقَا حَتّى أَتَيَا أَبَا طَالِبٍ فَقَالَا لَهُ: إنّا نُرِيدُ أَنْ نُخَفّفَ عَنْك مِنْ عِيَالِك حَتّى يَنْكَشِفَ عَنِ النّاسِ مَا هُمْ فِيهِ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلِيّا، فَضَمّهُ إِلَيْهِ وَأَخَذَ الْعَبّاسُ جَعْفَرًا.

ولما عَظُمَ عَلَى أَبِي طَالِبٍ فِرَاقُ قَوْمِهِ وَعَدَاوَتُهُمْ وَلَمْ يَطِبْ نَفْسًا بِإِسْلام رَسُولِ اللهِ ﷺ لَهُمْ وَلَا خِذْلانِهِ. طَلَبَ مِنْ رسولِ اللهِ ﷺ الْكَفَّ عَنِ الدَّعْوَةِ، وبَعَثَ إليه فَقَالَ لَهُ: يَا بْنَ أَخِي، إِنَّ قَوْمَك قَدْ جَاءُونِي، فَقَالُوا لِي كَذَا وَكَذَا، لِلَّذِي كَانُوا قَالُوا لَهُ، فَأَبْقِ عَلَيَّ وَعَلَى نَفْسِك، وَلا تُحَمِّلْنِي مِنَ الأَمْرِ مَا لا أُطِيقُ. قَالَ: فَظَنَّ

رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَدْ بَدَا لِعَمِّهِ فِيهِ بَدَاءٌ أَنَّهُ خَاذِلُهُ وَمُسْلِمُهُ وَأَنَّهُ قَدْ ضَعُفَ عَنْ نُصْرَتِهِ وَالْقِيَامِ مَعَهُ. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا عَمِّ، وَاللهِ لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسَ فِي يَمِينِي، وَالْقَمَرَ فِي يَسَارِي عَلَى أَنْ أَتْرُكَ هَذَا الأَمْرَ حَتَّى يُظْهِرَهُ اللهُ أَوْ أَهْلِكَ فِيهِ مَا تَرَكْتُهُ». قَالَ: ثُمَّ اسْتَعْبَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَبَكَى، ثُمَّ قَامَ فَلَمَّا وَلَّى نَادَاهُ أَبُو طَالِبٍ فَقَالَ: أَقْبِلْ يَا ابْنَ أَخِي. قَالَ: فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: اذْهَبْ يَا ابْنَ أَخِي، فَقُلْ مَا أَحْبَبْتَ فَوَاللهِ لَا أُسْلِمُكَ لِشَيْءٍ أَبَدًا.[1]

وَيَهْلِكُ عَمُّهُ أَبِي طَالِبٍ وَكَانَ لَهُ عَضُدًا وَحِرْزًا فِي أَمْرِهِ، وَمَنَعَةً وَنَاصِرًا عَلَى قَوْمِهِ، وَذَلِكَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ بِثَلَاثِ سِنِينَ نَالَتْ قُرَيْشٌ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ الأَذَى مَا لَمْ تَكُنْ تَطْمَعُ بِهِ فِي حَيَاةِ أَبِي طَالِبٍ، حَتَّى اعْتَرَضَهُ سَفِيهٌ مِنْ سُفَهَاءِ قُرَيْشٍ، فَنَثَرَ عَلَى رَأْسِهِ تُرَابًا. فَدَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْتَهُ وَالتُّرَابُ عَلَى رَأْسِهِ، فَقَامَتْ إِلَيْهِ إِحْدَى بَنَاتِهِ فَجَعَلَتْ تَغْسِلُ عَنْهُ التُّرَابَ وَهِيَ تَبْكِي، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ لَهَا: «لَا تَبْكِي يَا بُنَيَّةُ فَإِنَّ اللهَ مَانِعٌ أَبَاكِ». قَالَ وَيَقُولُ بَيْنَ ذَلِكَ: «مَا نَالَتْ مِنِّي قُرَيْشٌ شَيْئًا أَكْرَهُهُ حَتَّى مَاتَ أَبُو طَالِبٍ».[2]

---

(1) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (2/187) وأبو نعيم في دلائل النبوة ص 197. وانظر: سيرة ابن إسحاق ص 179.

(2) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (1/124) وابن عساكر في تاريخ دمشق (66/338).

حب الصحابة لرسول الله ﷺ إلى أي درجة وصل

كانت غاية مناهم أن يجمع الله عز وجل بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم في الآخرة كما جمع بينهم وبينه في الدنيا، فمرافقة محمد ﷺ في الجنة كانت أحب إليهم من كل شيء، وإن سألوا لا يلتفتون إلى شيء سواها.

فهذا رَبِيعَةُ بْنُ كَعْبٍ الأَسْلَمِيُّ يقول: كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ، فَقَالَ لِي: «سَلْ». فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ. قَالَ: «أَوَغَيْرَ ذَلِكَ ؟» قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ. قَالَ: «فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ».[1]

فحبهم لرسول الله ﷺ جعلهم أحرص الناس على الاجتماع به وأخوف الناس من الافتراق عنه.

وهذا زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ يؤثر رسول الله ويختاره على أهله وإخوته.

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحه (1/353 رقم 489).

يقول جَبَلَةُ بْنُ حَارِثَةَ أَخُو زَيْدٍ: قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ابْعَثْ مَعِي أَخِي زَيْدًا. قَالَ: «هُوَ ذَا». قَالَ: «فَإِنِ انْطَلَقَ مَعَكَ لَمْ أَمْنَعْهُ». قَالَ زَيْدٌ: يَا رَسُولَ اللهِ وَاللهِ لاَ أَخْتَارُ عَلَيْكَ أَحَدًا.[1]

وكان ذكر محمد ﷺ أحب إليهم من ذكر أهلهم وذويهم؛ بل هو الدواء لهم من كل ما يعتريهم فقد خدرت رجل ابن عمر يومًا، فقال له أحدهم: اذكر أحب الناس إليك. فقال: محمد، قال: فقام، فكأنما نشط من عقال.[2]

وكانت طاعة رسول الله ﷺ أحب؛ الأشياء إليهم؛ فقد أخرج البيهقي بسند صحيح من طريق ثابت عن ابن أبي ليلى قال: كان النبي ﷺ يخطب فدخل عبد الله بن رواحة فسمعه يقول: «اجلسوا». فجلس مكانه خارجًا من المسجد، فلما فرغ قال له: «زادك الله حرصا على طواعية الله وطواعية رسوله».[3]

وكان خوفهم على رسول الله ﷺ أكبر من خوفهم على أنفسهم وأهليهم.

فهذا طلحة بن البراء يروي قصة إسلامه فيقول إنه أتى النبي ﷺ فقال: ابسط يدك أبايعك. قال: «وإن أمرتك بقطيعة والديك؟». قلت: لا. ثم عدت له فقلت: ابسط يدك أبايعك قال: «علام».

---

(1) أخرجه الترمذي في سننه (5/676 رقم 3815) وقال: هذا حديث حسن غريب.

(2) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (ص 335 رقم 964)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (ص 141 رقم 170).

(3) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (6/257) قال ابن حجر في الإصابة (4/84): إسناده صحيح.

قلت: على الإسلام. قال: «وإن أمرتك بقطيعة والديك؟». قلت: لا. ثم عدت الثالثة وكانت لـه والدة وكان مـن أبر الناس بهـا فقال له النبـي ﷺ: «يـا طلحة، إنه ليس في ديننـا قطيعة الرحم، ولكن أحببت أن لا يكون في دينك ريبة». فأسلم فحسن إسلامه.

ثم مرض فعاده النبي ﷺ فوجده مغمى عليه، فقال النبي ﷺ: «ما أظن طلحـة إلا مقبوضا من ليلته فإن أفـاق فأرسلوا إليَّ». فأفـاق طلحة في جـوف الليل فقال: ما عادنـي النبي ﷺ؟ قالوا: بلـى. فأخبـروه بمـا قال، فقال: لا ترسلوا إليـه في هذه الساعة، فتلسعه دابة أو يصيبه شيء، ولكن إذا فُقِدْتُ فَأَقْرِئُوه مني السلام وقولوا له فليستغفر لي. فلما صلى النبـي ﷺ الصبح سأل عنه، فأخبـروه بموته وبما قال، فرفع النبي ﷺ يده وقال: «اللهم القه يضحك إليك، وأنت تضحك إليه».[1]

ويعبر عمرو بن العاص رضي الله عنه عن حبه لرسول الله ﷺ بكلمات وَهُوَ فِي سِيَاقَةِ الْمَوْتِ.

حيـث بَكَى طَوِيـلاً وَحَوَّلَ وَجْهَهُ إِلَـى الْجِدَارِ فَجَعَـلَ ابْنُهُ يَقُولُ: يَـا أَبَتَاهُ أَمَا بَشَّـرَكَ رَسُولُ الله ﷺ بِكَذَا، أَمَا بَشَّـرَكَ رَسُولُ الله ﷺ بِكَذَا. فَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ. وَقَالَ: إِنَّ أَفْضَلَ مَا نُعِدُّ شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله وَأَنَّ مُحَمَّـدًا رَسُولُ الله، إِنِّى قَدْ كُنْتُ عَلَـى أَطْبَاقٍ ثَلاَثٍ: لَقَدْ رَأَيْتُنِى

---

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (8/310 رقم 8161) وبنحوه في المعجم الأوسط (8/125 رقم 8168). قال في مجمع الزوائد (3/37). رواه الطبراني في الكبير وإسناده حسن.

وَمَــا أَحَدٌ أَشَدَّ بُغْضًا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنِّي، وَلاَ أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَكُونَ قَدِ اسْتَمْكَنْتُ مِنْهُ فَقَتَلْتُهُ، فَلَوْ مُتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَكُنْتُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَلَمَّا جَعَلَ اللهُ الإِسْلاَمَ فِي قَلْبِي أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ: ابْسُطْ يَمِينَكَ فَلأُبَايِعْكَ. فَبَسَطَ يَمِينَهُ، فَقَبَضْتُ يَدِي. قَالَ: «مَا لَكَ يَا عَمْرُو؟!». قُلْتُ: أَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِطَ.

قَالَ: «تَشْتَرِطُ بِمَاذَا؟». قُلْتُ: أَنْ يُغْفَرَ لِي. قَالَ: «أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الإِسْلاَمَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ، وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا، وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟». وَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلاَ أَجَلَّ فِي عَيْنِي مِنْهُ، وَمَا كُنْتُ أُطِيقُ أَنْ أَمْلأَ عَيْنَيَّ مِنْهُ إِجْلاَلاً لَهُ، وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ؛ لأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلأُ عَيْنَيَّ مِنْهُ، وَلَوْ مُتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَرَجَوْتُ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ.

ثُمَّ وَلِينَا أَشْيَاءَ مَا أَدْرِى مَا حَالِى فِيهَا فَإِذَا أَنَا مُتُّ فَلاَ تَصْحَبْنِى نَائِحَةٌ وَلاَ نَارٌ فَإِذَا دَفَنْتُمُونِى فَشُنُّوا عَلَيَّ التُّرَابَ شَنًّا ثُمَّ أَقِيمُوا حَوْلَ قَبْرِى قَدْرَ مَا تُنْحَرُ جَزُورٌ وَيُقْسَمُ لَحْمُهَا حَتَّى أَسْتَأْنِسَ بِكُمْ وَأَنْظُرَ مَاذَا أُرَاجِعُ بِهِ رُسُلَ رَبِّي.[1]

وكانوا يحبون رسول الله ﷺ كله وجزءه، ويتبركون به أو بما مسه أو كان متصلاً به. ومن ذلك:

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحه (1/112 رقم 121) عن عمرو بن العاص.

1 - التبرك بيده الشريفة ﷺ:

كانت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تتبرك بيد رسول الله ﷺ وتلتمس منها الشفاء.

فعَنْهَا رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَنْفُثُ عَلَى نَفْسِهِ فِي الْمَرَضِ الَّذِى مَاتَ فِيهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ، قَالَتْ: فَلَمَّا ثَقُلَ كُنْتُ أَنْفِثُ عَلَيْهِ بِهِنَّ، وَأَمْسَحُ بِيَدِ نَفْسِهِ لِبَرَكَتِهَا.[1]

قال الزهري: كَانَ يَنْفِثُ عَلَى يَدَيْهِ، ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ.

وفي رواية لمسلم قالت: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا مَرِضَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهِ نَفَثَ عَلَيْهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ، فَلَمَّا مَرِضَ مَرَضَهُ الَّذِى مَاتَ فِيهِ جَعَلْتُ أَنْفُثُ عَلَيْهِ، وَأَمْسَحُهُ بِيَدِ نَفْسِهِ لأَنَّهَا كَانَتْ أَعْظَمَ بَرَكَةً مِنْ يَدِي.[2]

وكان أَبُو أَيُّوبَ الأنصاري -رضي الله عنه- والذي اختار رسول الله ﷺ أن ينزل في بيته لما قدم إلى المدينة مهاجرًا- يقول: لَمَّا نَزَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي بَيْتِي، نَزَلَ فِي السُّفْلِ وَأَنَا وَأُمُّ أَيُّوبَ فِي الْعُلْوِ، وذات يوم أهريق ماء في الغرفة، فقمت أنا وأم أيوب بقطيفة لنا نتتبع الماء شفقًا أن يخلص إلى رسول الله ﷺ، ثم نزلت إلى رسول الله ﷺ وأنا مشفق، فَقُلْت لَهُ:

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه (5/2165رقم 5403).

(2) أخرجه مسلم في صحيحه (4/1723 رقم 2192).

يَا نَبِيَّ اللهِ بِأَبِي أَنْـتَ وَأُمِّي، إنِّـي لأَكْرَهُ وَأُعْظِمُ أَنْ أَكُونَ فَوْقَكَ، وَتَكُـونَ تَحْتِي، فَاظْهَرْ أَنْتَ فَكُنْ فِـي الْعُلْوِ وَنَنْزِلَ نَحْنُ فَنَكُونَ فِي السِّفْلِ. فَقَـالَ: «يَا أَبَا أَيُّوبَ، إنَّ أَرْفَقَ بِنَـا وَبِمَنْ يَغْشَانَا، أَنْ نَكُـونَ فِي سُفْلِ الْبَيْتِ». قَالَ: فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي سُفْلِهِ، وَكُنَّا فَوْقَهُ فِي الْمَسْكَنِ. وَكُنَّا نَصْنَعُ لَهُ الْعَشَاءَ ثُمَّ نَبْعَثُ بِهِ إلَيْهِ، فَـإذَا رَدَّ عَلَيْنَا فَضْلَهُ تَيَمَّمْـتُ أَنَا وَأُمُّ أَيُّوبَ مَوْضِعَ يَدِهِ، فَأَكَلْنَا مِنْهُ، نَبْتَغِي بِذَلِكَ الْبَرَكَةَ.[1]

وكان لأبـي محـذورة قُصَّةٌ فـي مقدم رأسـه إذا قعـد وأرسلها أصابـت الأرض. فقيـل لـه: ألا تحلقهـا ؟ فقـال: لم أكن بالذي أحلقهـا، وقد مسهـا رسول الله ﷺ بيده. ولَـمْ يَحْلِقْهَا حَتَّى مَاتَ.[2]

ولم يقتصر ذلك التبرك على الصحابة، بل كان التابعون الذين لم يشهدوا رسول الله ﷺ يتبركون بما مسته يد رسول الله.

فَقَـدْ كَانَ أَنَسُ بْـنُ مَالِكٍ رضي الله عنه يحدث تلاميذه وأتباعه يومًـا فَقَـالَ: إنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَنَا أَوَّلُ مَـنْ يَأْخُذُ بِحَلْقَةِ بَابِ الْجَنَّةِ فَأُقَعْقِعُهَا».

(1) أورده ابن هشام في السيرة النبوية (1/498) وأصله في صحيح مسلم (3/1623) رقم (2053).

(2) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير (7/176 رقم 6746) عن أبي محذورة، والحاكم في المستدرك (3/589 رقم 6181) وسكت عنه الذهبي في التلخيص.

قَالَ أَنَسٌ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى يَدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ يُحَرِّكُهَا.

فَقَالَ لَهُ ثَابِتٌ الْبُنَانِيُّ: مَسِسْتَ يَدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِيَدِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَأَعْطِنِيهَا أُقَبِّلْهَا.[1]

2 - التبرك بملامسة جلده ﷺ:

فَعَنْ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ قَالَ: بَيْنَمَا هُوَ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ وَكَانَ فِيهِ مِزَاحٌ بَيْنَا يُضْحِكُهُمْ فَطَعَنَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي خَاصِرَتِهِ بِعُودٍ فَقَالَ: أَصْبِرْنِي. فَقَالَ: «اصْطَبِرْ». قَالَ: إِنَّ عَلَيْكَ قَمِيصًا وَلَيْسَ عَلَيَّ قَمِيصٌ. فَرَفَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ قَمِيصِهِ، فَاحْتَضَنَهُ وَجَعَلَ يُقَبِّلُ كَشْحَهُ، قَالَ: إِنَّمَا أَرَدْتُ هَذَا يَا رَسُولَ اللهِ ﷺ.[2]

أَصْبِرْنِي: أَقِدْنِي مِنْ نَفْسِكَ. وكَشْحَهُ أَيْ خَصْرَهُ.

وفي كتب السيرة: أَنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَدَّلَ صُفُوفَ أَصْحَابِهِ يَوْمَ بَدْرٍ، وَفِي يَدِهِ قِدْحٌ يُعَدِّلُ بِهِ الْقَوْمَ، فَمَرّ بِسَوَادِ بْنِ غَزِيّةَ وَهُوَ مُسْتَنْتِلٌ مِنْ الصّفّ، فَطُعِنَ فِي بَطْنِهِ بِالْقِدْحِ، وَقَالَ: «اسْتَوِ يَا سَوّادُ». فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ، أَوْجَعْتنِي وَقَدْ بَعَثَك اللّهُ بِالْحَقّ وَالْعَدْلِ، فَأَقِدْنِي. فَكَشَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ بَطْنِهِ، وَقَالَ: اسْتَقِدْ.

---

(1) أخرجه الدارمي في سننه (1/40 رقم 50) عن أنس.

(2) أخرجه أبو داود في سننه (4/356 رقم 5224)، والبيهقي في سننه الكبرى (7/102 رقم 13364)، والطبراني في المعجم الكبير (1/205 رقم 556)، والحاكم في المستدرك (3/327 رقم 5262) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وأقره الذهبي.

قَالَ: فَاعْتَنَقَهُ فَقَبَّلَ بَطْنَهُ. فَقَالَ: «مَا حَمَلَك عَلَى هَذَا يَا سَوَّادُ؟» قَالَ: يَا رَسُولَ اللهَ حَضَرَ مَا تَرَى، فَأَرَدْتُ أَنْ يَكُونَ آخِرُ الْعَهْدِ بِك أَنْ يَمَسّ جِلْدِي جِلْدَك. فَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بخير.[1]

3 - التبرك بشعر رسول الله ﷺ:

عَنْ أَنَسٍ قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَالْحَلاَّقُ يَحْلِقُهُ، وَأَطَافَ بِهِ أَصْحَابُهُ، فَمَا يُرِيدُونَ أَنْ تَقَعَ شَعْرَةٌ إِلاَّ فِي يَدِ رَجُلٍ.[2]

واعتمر خالد بن الوليد مع رسول الله عمرة، فلما حلق رسول الله شعره استبق الناس إلى شعره، واستبق خالد إلى الناصية فأخذها، فجعلها في مقدم قلنسوته فما وجّهها في وجه إلا فُتح له.

فسقطت قلنسوته في بعض حروبه، فشد عليها شدة أنكر عليه أصحاب النبي ﷺ كثرة من قتل فيها، فقال: لم أفعلها بسبب القلنسوة، بل لما تضمنته من شعره ﷺ؛ لئلا أسلب بركتها، وتقع في أيدي المشركين.[3]

وعن التبرك بشعر رسول الله ﷺ ذكر الذهبي في كتابه سير أعلام النبلاء عند ترجمة عبيدة بن عمر السلماني أنه قيل له: إن عندنا من شعر رسول الله ﷺ شيئًا من قبل أنس بن مالك،

(1) السيرة النبوية (3/174).

(2) أخرجه مسلم في صحيحه (4/1812 رقم 2325) عن أنس.

(3) انظر تاريخ دمشق (16/237) والمطالب العالية، لابن حجر العسقلاني (13/357).

فقال: لأن يكون عندي منه شعرة أحب إلي من كل صفراء وبيضاء على ظهر الأرض.

ويعلق الذهبي على هذا القول بقوله: هذا القول من عبيدة هو معيار كمال الحب، وهو أن يؤثر شعرة نبوية على كل ذهب وفضة بأيدي الناس.[1]

وأثر عن أحمد بن حنبل أنه كان يتبرك بشعرة لرسول الله ﷺ.

قال عبد الله بن أحمد: رأيت أبي يأخذ شعرة من شعر النبي ﷺ فيضعها على فيه يقبلها.

وأحسب أني رأيته يضعها على عينه، ويغمسها في الماء ويشربه يستشفي به.

ورأيته أخذ قصعة النبي ﷺ فغسلها في حب الماء، ثم شرب فيها.[2]

4 - التبرك بعرقه ﷺ:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: دَخَلَ عَلَيْنَا النَّبِىُّ ﷺ فَقَالَ عِنْدَنَا- من القيلولة وهي النوم بعد الظهر-، فَعَرِقَ، وَجَاءَتْ أُمِّى بِقَارُورَةٍ فَجَعَلَتْ تَسْلُتُ الْعَرَقَ فِيهَا، فَاسْتَيْقَظَ النَّبِىُّ ﷺ فَقَالَ: «يَا أُمَّ سُلَيْمٍ مَا هَذَا الَّذِى تَصْنَعِينَ».

---

(1) سير أعلام النبلاء، للذهبي (4/42).

(2) انظر سير أعلام النبلاء (11/317).

قَالَتْ: هَذَا عَرَقُكَ نَجْعَلُهُ فِي طِيبِنَا، وَهُوَ مِنْ أَطْيَبِ الطِّيبِ.

وفي رواية قَالَ: «مَا تَصْنَعِينَ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ؟!». فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ نَرْجُو بَرَكَتَهُ لِصِبْيَانِنَا. قَالَ: «أَصَبْتِ».[1]

5 - التبرك بنخامته ﷺ:

لما أتى عروة بن مسعود الحديبية، جَعَلَ يَرْمُقُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ بِعَيْنَيْهِ. قَالَ: فَوَاللهِ مَا تَنَخَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ نُخَامَةً إِلاَّ وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمُ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ. فَرَجَعَ عُرْوَةُ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: أَيْ قَوْمِ، وَاللهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ، وَوَفَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ وَكِسْرَى وَالنَّجَاشِيِّ، وَاللهِ إِنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ، يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ مُحَمَّدًا...وَإِنَّهُ قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ، فَاقْبَلُوهَا.[2]

6 - التبرك بما مسه بفمه ﷺ:

فقد كانت أم سليم تتبرك بموضع فمه ﷺ من السقاء.

فعَنْ أُمِّ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَتْ دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَقِرْبَةٌ مُعَلَّقَةٌ

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحه (4/1815 رقم 2331) عن أنس.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه (3/974 رقم 2581) عن المسور بن مخرمة ومروان.

فِيهَا مَاءٌ فَشَرِبَ النَّبِيُّ ﷺ قَائِمًا مِنْ فِى الْقِرْبَةِ فَقَامَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ إِلَى فِى الْقِرْبَةِ فَقَطَعَتْهُ.[1]

فعلت ذلك أم سليم كي تحتفظ بفي القربة ويكون آخر من شرب منها رسول الله ﷺ، وفعلت ذلك تبركًا بموضع فمه الشريف منها.

وفي رواية أخرى أن صحابية يقال لها: كَبْشَةُ الأَنْصَارِيَّةُ رَوَتْ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا قِرْبَةٌ مُعَلَّقَةٌ فَشَرِبَ مِنْهَا وَهُوَ قَائِمٌ فَقَطَعَتْ فَمَ الْقِرْبَةِ تَبْتَغِي بَرَكَةَ مَوْضِعِ فِي رَسُولِ الله ﷺ.[2]

فيمكن أن تكون هذه حادثة وتلك أخرى.

7 - التبرك بدم رسول الله ﷺ :

أَتَى عَبْدُ الله بْنُ الزُّبَيْرِ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَحْتَجِمُ، فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ: «يَا عَبْدَ الله، اذْهَبْ بِهَذَا الدَّمِ فَأَهْرِقْهُ حَيْثُ لاَ يَرَاكَ أَحَدٌ». فَلَمَّا بَرَزَ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ عَمَدَ إِلَى الدَّمِ فَشَرِبَهُ، فَلَمَّا رَجَعَ قَالَ: «يَا عَبْدَ الله، مَا صنعت؟» قَالَ: جعلته أخفى مكان علمت أَنَّهُ يخفى عَنْ النّاس، قَالَ: «لعلك شربته». قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «وَلِمَ

(1) أخرجه أحمد في مسنده (6/431 رقم 27468)، والترمذي في سننه (4/306 رقم 1892) عن كبشة. وقال: حديث حسن صحيح غريب.

(2) أخرجه ابن ماجه في سننه (2/1132 رقم 3423)، والطبراني في المعجم الكبير (15/25 رقم 8).

شَرِبْتَ الـدَّمَ؟» قـال: أحببـت أن يكـون دم رسـول الله ﷺ في جوفي. قال: «وَيْلٌ لِلنَّاسِ مِنْكَ، وَوَيْلٌ لَكَ مِنَ النَّاسِ».[1]

وفي مرة أخرى قَالَ سَفِينَةُ مَوْلَى رَسُولِ الله ﷺ: احْتَجَمَ رسول الله، فَقَالَ:«خُذْ هَذَا الـدَّمَ، فَادْفِنْهُ مِنَ الدَّوَابِّ وَالطَّيْرِ وَالنَّاسِ». فَتَغَيَّبْتُ فَشَرِبْتُهُ، ثُمَّ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ، فَضَحِكَ.[2]

8- **التبرك ببوله الطاهر ﷺ:**

عَنْ أُمَيْمَةَ بِنْتِ رُقَيْقَةَ رضي الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ لِلنَّبِيِّ ﷺ قَدَحٌ مِنْ عَيْدَانٍ تَحْتَ سَرِيرِهِ يَبُولُ فِيهِ بِاللَّيْلِ. فَبَالَ فَوُضِعَ تَحْتَ سَرِيرِهِ، فَجَاءَ فَأَرَادَهُ، فَإِذَا الْقَدَحُ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ، فَقَالَ لامْرَأَةٍ يُقَالُ لَهَا: بَرَكَةُ. كَانَتْ تَخْدُمُهُ لأُمِّ حَبِيبَةَ جَاءَتْ مَعَهَا مِنْ أَرْضِ الْحَبَشَةِ: «أَيْنَ الْبَوْلُ الَّذِي كَانَ فِي هَذَا الْقَدَحِ؟» قَالَتْ: شَرِبْتُهُ يَا رَسُولَ الله. فَقَالَ: «لَقَدِ احْتَظَرْتِ مِنَ النَّارِ بِحِظَارٍ». وَفِي رِوَايَةٍ: بِجُنَّةٍ.[3]

---

(1) أخرجه الدار قطني في السنن (1/228) عن أسماء بنت أبي بكر، والحاكم في المستدرك (3/638 رقم 6343) وسكت الذهبي عنه في التلخيص، والبزار في مسنده (9/284 رقم 3834) عن سفينة. قال في مجمع الزوائد (8/270): رواه الطبراني والبزار باختصار، ورجال البزار رجال الصحيح غير هنيد بن القاسم وهو ثقة.

(2) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (7/81 رقم 6434)، وقال في مجمع الزوائد (8/270): رجاله ثقات.

(3) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (24/189 رقم 477، 24/205 رقم 527) والبيهقي في السنن الكبرى (7/67 رقم 13184) وابن عساكر في تاريخ دمشق (69/51).

وهذه الحادثة يستصعبها كثير من الناس وينكرونها، ولكنها واقعة وحدثت، نعم شربت هذه المرأة بول النبي ﷺ ولكنه لم يأمرها بذلك ولم يأذن لها ولا لغيرها فيه، ولكنها إذ فعلت ذلك ساهية فإنه ﷺ لم ينكر عليها أو ينذرها بسوء تصاب به بل على العكس.

وهذه المرأة إذ فعلت ذلك دون أن تصاب بتأفف أو كراهية عند علمها بحقيقة ما شربت قبلت ذلك لأنها كانت محبة، وشعرت بطهر النبي ﷺ وطهر كل ما كان منه، وهي حين فعلت لم تشعر إلا أنه ماء عذب، حيث كان كل شيء في رسول الله ﷺ أو منه له رائحة طيبة زكية، ولما أخبرها رسول الله بحقيقة ما شربت لم تتأفف، فبشرها بالنجاة من النار حيث خالط جسمها شيء كان خالط جسد رسول الله ﷺ.

ولو تأملنا حياتنا لوجدنا الأم لا تأنف أو تتأذى من ابنها تنظفه وتزيل عنه بوله وغائطه وذلك لشدة تعلقها به وحبها له، وكذلك الأمر بين الزوج وزوجته من شدة الارتباط بينهما والمقاربة لا يوجد بينهما حرج أو تأفف.

فإن كان هذا الأمر عاديًا وطبيعيًا بين الأم وأبنائها وبين الزوج وزوجته، فما بالنا ننكره ولا نقبله إن تعلق برسول الله ﷺ الذي أحبه أصحابه واقتربوا منه وأصبح مقربًا لديهم أكثر من أمهاتهم وزوجاتهم وأبنائهم.

وأما الذين بعدت الشقة بينهم وبين رسول الله ولم ينظروا إلى حياته وصحبته نظرة الحب فنقول لهم: هذا ما حدث فإن أردتم

أن تحاكموا أحدا فحاكموا الحب وأعدموه!! هذا إن وجدتموه بينكم أو عرفتموه.

9- التبرك بوضوئه ﷺ:

عَنْ أبي جحيفة، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهْوَ فِي قُبَّةٍ حَمْرَاءَ مِنْ أَدَمٍ، وَرَأَيْتُ بِلاَلاً أَخَذَ وَضُوءَ النَّبِيِّ ﷺ وَالنَّاسُ يَبْتَدِرُونَ الْوَضُوءَ، فَمَنْ أَصَابَ مِنْهُ شَيْئًا تَمَسَّحَ بِهِ، وَمَنْ لَمْ يُصِبْ مِنْهُ شَيْئًا أَخَذَ مِنْ بَلَلِ يَدِ صَاحِبِهِ.[1]

10- التبرك بثوبه ﷺ:

عَنْ سَهْلٍ رضي الله عنه أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتِ النَّبِيَّ ﷺ بِبُرْدَةٍ مَنْسُوجَةٍ فِيهَا حَاشِيَتُهَا قال: أَتَدْرُونَ مَا الْبُرْدَةُ؟ قَالُوا: الشَّمْلَةُ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَتْ: نَسَجْتُهَا بِيَدِي، فَجِئْتُ لأَكْسُوَكَهَا. فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ ﷺ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا، فَخَرَجَ إِلَيْنَا وَإِنَّهَا إِزَارُهُ، فَحَسَّنَهَا فُلاَنٌ فَقَالَ: اكْسُنِيهَا، مَا أَحْسَنَهَا. قَالَ الْقَوْمُ: مَا أَحْسَنْتَ، لَبِسَهَا النَّبِيُّ ﷺ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا، ثُمَّ سَأَلْتَهُ وَعَلِمْتَ أَنَّهُ لاَ يَرُدُّ. قَالَ: إِنِّي وَاللهِ مَا سَأَلْتُهُ لأَلْبَسَهَا، إِنَّمَا سَأَلْتُهُ لِتَكُونَ كَفَنِي. قَالَ سَهْلٌ: فَكَانَتْ كَفَنَهُ.[2]

وفِيهَا حَاشِيَتُهَا أَيْ جَدِيدَةٌ لَمْ يُقْطَعْ شَيْءٌ مِنْ جَانِبَيْهَا.

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه (1/147 رقم 369).

(2) أخرجه البخاري في صحيحه (1/429 رقم 1218).

وقَالَتْ أسماء بنت أبي بكر: هَذِهِ جُبَّةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ. فَأَخْرَجَتْ جُبَّةَ طَيَالِسَةٍ لَهَا لِبْنَةُ دِيبَاجٍ وَفَرْجَيْهَا مَكْفُوفَيْنِ بِالدِّيبَاجِ. فَقَالَتْ: هَذِهِ كَانَتْ عِنْدَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا حَتَّى قُبِضَتْ، فَلَمَّا قُبِضَتْ قَبَضْتُهَا، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَلْبَسُهَا، فَنَحْنُ نَغْسِلُهَا لِلْمَرْضَى نَسْتَشْفِي بِهَا.(1)

11 - **التبرك بقدح شرب فيه رسول الله ﷺ:**

عَنْ أَبِي بُرْدَةَ قَالَ: قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فَلَقِيَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلاَمٍ فَقَالَ لِي: انْطَلِقْ إِلَى الْمَنْزِلِ فَأَسْقِيَكَ فِي قَدَحٍ شَرِبَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَتُصَلِّي فِي مَسْجِدٍ صَلَّى فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ. فَانْطَلَقْتُ مَعَهُ، فَسَقَانِي سَوِيقًا، وَأَطْعَمَنِي تَمْرًا، وَصَلَّيْتُ فِي مَسْجِدِهِ.(2)

12 - **التبرك بمنبر رسول الله ﷺ:**

قال القاضي عياض: رُئِيَ ابنُ عمر رضي الله عنهما واضعًا يده على مقعد النبي ﷺ من المنبر ثم وضعها على وجهه.

وعن أبي قسيط والعتبي كان أصحاب النبي ﷺ إذا خلا المسجد حسوا رمانة المنبر التي تلي القبر بميامينهم ثم يستقبلون القبلة يدعون. اهـ (3)

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحه (3/164 رقم 2069) عن عبدالله بن عمر.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه (6/2673 رقم 6910) عن عبدالله بن سلام.

(3) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (1/254). وانظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض (2/ 57، 86).

يقول ابن تيمية: رخّص أحمد وغيره في التمسح بالمنبر والرمانة التي هي موضع مقعد النبي ﷺ ويده، ولم يرخصوا في التمسح بقبره، وقد حكى بعض أصحابنا رواية في مسح قبره؛ لأن أحمد شيع بعض الموتى فوضع يده على قبره يدعو له، والفرق بين الموضعين ظاهر.

وذكر أن ابن عمر وسعيد بن المسيب ويحيي بن سعيد من فقهاء المدينة كانوا يفعلون ذلك.[1]

(1) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية (ص 367).

بعض مفاهيم الحب التي أرساها رسول الله ﷺ

إن الله عز وجل أنزل على رسوله محمد بن عبد الله ﷺ رسالة الحب وهي القرآن الكريم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فمن يحبه الله ؟

نجد الله سبحانه يقول: ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾.[1]

ويقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ﴾.[2]

ويقول: ﴿بَلَىٰ مَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾.[3]

ويقول: ﴿فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.[4]

ويقول: ﴿وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ﴾.[5]

ويقول: ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾.[6]

---

(1) البقرة: الآية 195.
(2) البقرة: الآية 222.
(3) آل عمران: الآية 76.
(4) آل عمران: الآية 146.
(5) آل عمران: الآية 159.
(6) المائدة: الآية 42.

ويقول: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾.[1]

وفي مقابل الحب لم يذكر سبحانه وتعالى الكره أو الكراهية إلا للفعل وقال عن مرتكب الإثم والعدوان من عبيده «إنه لا يحبه».

فقال تعالى: ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾.[2]

وقال: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾.[3]

وقال: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.[4]

وقال: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.[5]

وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾.[6]

وقال: ﴿وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾.[7]

وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾.[8]

وقال: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾.[9]

---

(1) التوبة: الآية 108.
(2) البقرة: الآية 190.
(3) البقرة: الآية 276.
(4) آل عمران: الآية: 32.
(5) آل عمران: الآية 57.
(6) النساء: الآية 36.
(7) النساء: الآية 107.
(8) الأنفال: الآية 58.
(9) النساء: الآية 148.

وقال: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾.[1]

وقال: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾.[2]

وقال: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾.[3]

وقال: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.[4]

وقال: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾.[5]

ولـم يتوجه كره الله عز وجل إلــى شخص من حيث ذاته، وإنما يتوجه إلى كفره أو معصيته التي تلبس بها وأصر عليها.

قال: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ﴾.[6]

وقال: ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾.[7]

وفــي الحقيقة ليس بغض الإثـم والمعصية وكرههما إلا معنى من معـاني الحب والإشفـاق والرحمة على شخص العاصي والآثم.

---

(1) المائدة: الآية 64.

(2) الأنعام: الآية 141.

(3) النحل: الآية 23.

(4) الشورى: الآية 40.

(5) البقرة: الآية 205.

(6) التوبة: الآية 46.

(7) الحجرات. الآية 7.

وجاء في سنة رسول الله ﷺ من مفاهيم الحب ما يلي:

• **الحب سبيل الإيمان:**

عَـنْ أنس عن النبي ﷺ قال: «لا يؤمـن لأحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من والده وولده والناس أجمعين».[1]

• **الحب لله ولرسوله:**

عَـنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَـالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَحِبُّـوا اللهَ لِمَا يَغْذُوكُمْ مِنْ نِعَمِهِ، وَأَحِبُّونِي بِحُبِّ اللهِ، وَأَحِبُّوا أَهْلَ بَيْتِي لِحُبِّي».[2]

وروى ابـن إسحـاق أن رسول الله ﷺ خطب بعد دخوله المدينة فقـال: «أَحِبُّـوا مَا أَحَـبَّ اللهُ، أَحِبُّوا اللهَ مِنْ كُلِّ قُلُوبِكُـمْ، وَلَا تَمَلُّوا كَلَامَ اللهِ وَذِكْرَهُ، وَلَا تَقْسُ عَنْهُ قُلُوبُكُمْ».[3]

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ هِشَامٍ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَقَالَ: وَاللهِ لَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا نَفْسِـي. فَقَـالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُـمْ حَتَّى أَكُونَ عِنْدَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ». فَقَالَ عُمَـرُ: فَلَأَنْتَ الْآنَ وَاللهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْآنَ يَا عُمَرُ».[4]

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه (1/14 رقم 15) ومسلم (1/167 رقم 44).

(2) أخرجه الترمذي في سننه (5/664 رقم 3789) عن ابن عباس وقال: حسن غريب، والحاكم في المستدرك (3/162 رقم 4716) وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وأقره الذهبي، وأبو نعيم في حلية الأولياء (3/211).

(3) السيرةالنبوية (3/30).

(4) أخرجه أحمد في مسنده (4/233 رقم 18076) واللفظ له. وبنحوه البخاري في صحيحه (6/2445 رقم 6257).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رَضِيَ الله عنه – أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ».[1]

وعن عائشةَ، قالتْ: جاءَ رجلٌ إلى النبيِّ ﷺ، فقالَ: يا رسولَ اللهِ واللهِ إنكَ لأَحبُّ إليَّ من نفسِي، وإنكَ لأحبُّ إليَّ منْ أهلِي، وأحبُّ إليَّ من ولدِي، وإنِّي لأكونُ في البيتِ فأذكُرُكَ فَمَا أصبِرُ حتى آتيكَ فأنظُرَ إليكَ، وإذا ذكرتُ موتي وموتَكَ عرفْتُ أنك إذا دخلتَ الجنةَ ورفِعْتَ مع النبيِّينَ، وإنِّي إذا دخلتُ الجنَّةَ خشيتُ ألَّا أراكَ، فلَمْ يردَّ عليهِ النبيُّ حتى نزلَ جبريلُ بهذهِ الآية ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾.[2]

أحب رسولَ الله ﷺ ربُّه تبارك وتعالى قبل أن يحبه الخلق.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أَلاَ وَأَنَا حَبِيبُ اللهِ وَلاَ فَخْرَ وَأَنَا حَامِلُ لِوَاءِ الْحَمْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ فَخْرَ وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ فَخْرَ وَأَنَا أَوَّلُ

(1) أخرجه البخاري في صحيحه (14/1 رقم 13).

(2) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (153/1 رقم 477) وأبو نعيم في حلية الأولياء (240/4) وقال. هذا حديث غريب من حديث منصور وإبراهيم. والآية من سورة النساء (69).

مَــنْ يُحَرِّكُ حلَقَ الْجَنَّةِ فَيَفْتَحُ اللهُ لِــيَ فَيُدْخِلُنِيهَا وَمَعِي فُقَرَاءُ الْمُؤْمِنِينَ وَلاَ فَخْرَ وَأَنَا أَكْرَمُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ وَلاَ فَخْرَ».[1]

• **حب الله تعالى لمحمد ﷺ ولمن آمن برسالته:**

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَــا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَــيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْــدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّــى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّــذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَــدَهُ الَّتِي يَبْطُشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِــي لأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَــيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ».[2]

وعَـنْ أَبِي مُوسَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ».[3]

• **الحب والاحترام للإنسان:**

فَعَـنْ أَنَسٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِــيِّ ﷺ قَــالَ: «لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ».[4]

---

(1) أخرجه الترمذي في سننه (5/ 587 رقم 3616) وقال: حديث غريب.
(2) أخرجه البخاري في صحيحه (5/ 2384 رقم 6137).
(3) أخرجه البخاري في صحيحه (5/ 2387 رقم 6143).
(4) أخرجه البخاري في صحيحه (1/ 14 رقم 13).

قال ابنُ العمــاد: الأَوْلَى أن يُحمل على عموم الأخوة حتى يشمل الكافــر والمسلم، فيحــب لأخيه الكافر ما يحب لنفسه من دخوله فــي الإسلام، كما يحب لأخيــه المسلم الدوام عليــه، ولذلك ندب الدعاء له بالهداية.[1]

وعَــنْ أَنَسِ بْنِ مَالِك، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «مَا تَحَابَّ اثْنَانِ فِي اللهِ، إلاَّ كَانَ أَفْضَلَهُمَا أَشَدُّهُمَا حُبًّا لِصَاحِبِه»[2]

ولفظة «اثنان» أفادت العموم وكذلك لفظة «صاحبه».

وعَــنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِــي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَــلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى».[3]

• مَنْ أَخْلَصَ في حبه فقد اسْتَكْمَلَ الإيمانَ.

عَــنْ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ الْجُهَنِيِّ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «مَنْ أَعْطَى للهِ وَمَنَعَ للهِ وَأَحَبَّ للهِ وَأَبْغَضَ للهِ وَأَنْكَحَ للهِ فَقَدِ اسْتَكْمَلَ إِيمَانَهُ».[4]

---

(1) انظر: الفتوحات الوهبية بشرح الأربعين النووية، للشبرخيتي.

(2) أخرجه ابن حبان في صحيحه (2/325 رقم 566) وأبو يعلى في مسنده (6/143 رقم 3419) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (10/276): رواه الطبراني في الأوسط وأبو يعلى والبزار بنحوه، ورجال أبي يعلى والبزار رجال الصحيح غير مبارك بن فضالة وقد وثقه غير واحد على ضعف فيه.

(3) أخرجه مسلم في صحيحه (4/1999 رقم 2586).

(4) أخرجه الترمذي في سننه (4/670 رقم 2521) وقال: حديث حسن وأبو يعلى في مسنده (3/60 رقم 1485) والحاكم في المستدرك (2/178 رقم 2694) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وأقره الذهبي.

وعن معاذ بن جبل، قال رَسُولُ الله ﷺ: «قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ».[1]

وفيه عَنِ ابْنِ عَبَسَةَ سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: قَدْ حَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ يَتَحَابُّونَ مِنْ أَجْلِي، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ يَتَصَافُونَ مِنْ أَجْلِي، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ يَتَزَاوَرُونَ مِنْ أَجْلِي، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ يَتَبَاذَلُونَ مِنْ أَجْلِي، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ يَتَنَاصَرُونَ مِنْ أَجْلِي».[2]

- **الإيمان سبيله الحب والحب سبيله السلام.**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لاَ تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا. أَوَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ».[3]

- **المحب مع من أحب في الدنيا والآخرة:**

فَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ الله عنه أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ السَّاعَةِ، فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: «وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟». قَالَ: لاَ شَيْءَ

---

(1) أخرجه مالك في الموطأ (2/953 رقم 1711).

(2) أخرجه أحمد في مسنده (4/386 رقم 19457) والطبراني في الأوسط (9/40 رقم 9080) وفي الصغير (2/239 رقم 1095). قال في مجمع الزوائد (10/279): رواه الطبراني في الثلاثة، وأحمد بنحوه، ورجال أحمد ثقات.

(3) أخرجه مسلم في صحيحه (1/74 رقم 54).

إلاَّ أَنِّـي أُحِبُّ الله وَرَسُولَهُ ﷺ. فَقَـالَ: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ». قَالَ أَنَسٌ: فَمَا فَرِحْنَـا بِشَيْءٍ فَرَحَنَـا بِقَوْلِ النَّبِـيِّ ﷺ: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ». قَالَ أَنَسٌ: فَأَنَا أُحِبُّ النَّبِـيَّ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحُبِّى إِيَّاهُمْ، وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِمِثْلِ أَعْمَالِهِمْ.[1]

- **إشاعة الحب والتعبير عنه للآخرين:**

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَجُلاً كَانَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، إِنِّى لأُحِبُّ هَذَا. فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «أَعْلَمْتَهُ؟» قَالَ: لاَ. قَـالَ: «أَعْلِمْهُ». قَالَ: فَلَحِقَهُ فَقَـالَ: إِنِّى أُحِبُّكَ فِـي الله. فَقَالَ: أَحَبَّكَ الَّذِى أَحْبَبْتَنِي لَهُ.[2]

- **إشعار الزوجة بالحب والحنان بالرقة في معاملتها:**

عَـنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، قَـالَ ﷺ: «وَإِنَّكَ مَهْمَا أَنْفَقْتَ مِنْ نَفَقَةٍ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ حَتَّى اللُّقْمَةُ الَّتِي تَرْفَعُهَا إِلَى فِي امْرَأَتِكَ».[3]

وَعَـنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كُنْتُ أَشْرَبُ وَأَنَا حَائِضٌ ثُمَّ أُنَاوِلُهُ النَّبِيَّ ﷺ فَيَضَعُ فَاهُ عَلَـى مَوْضِعِ فِيَّ فَيَشْرَبُ، وَأَتَعَرَّقُ الْعَرْقَ وَأَنَا حَائِضٌ ثُمَّ أُنَاوِلُهُ النَّبِيَّ ﷺ فَيَضَعُ فَاهُ عَلَى مَوْضِعِ فِيَّ.[4]

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه (3/1349 رقم 3485).

(2) أخرجه أبو داود في صحيحه (4/333 رقم 5125) وأبو يعلى في مسنده (6/162 رقم 3442).

(3) أخرجه البخاري في صحيحه (3/1006 رقم 2591).

(4) أخرجه مسلم في صحيحه (1/245 رقم 300).

الـعَـرْقُ: الْعَظْـمُ الَّذِي بَقِيَ عَلَيْهِ شَـيْءٌ مِنَ اللَّحْمِ. وَأَتَعَـرَّقُ أَيْ آخُذُ بِـالْأَسْنَـانِ.

• إشعار الأبناء بالحب والحنان بتقديم النفقة والرعاية لهم:

عَنْ ثَوْبَـانَ أَنَّ النَّبِيَ ﷺ، قَـالَ: «أَفْضَلُ الدِّينَـارِ دِينَـارٌ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ عَلَـى عِيَالِـهِ، وَدِينَـارٌ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ عَلَى دَابَّتِـهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَدِينَـارٌ يُنْفِقُهُ الرَّجُـلُ عَلَـى أَصْحَابِهِ فِي سَبِيـلِ اللهِ». قَالَ أَبُو قِلَابَةَ: بَدَأَ بِالْعِيَالِ. ثُمَّ قَالَ: «فَأَيُّ رَجُلٍ أَعْظَمُ أَجْرًا مِنْ رَجُلٍ يُنْفِقُ عَلَى عِيَالٍ لَهُ صِغَارٍ؛ يُعِفُّهُمُ اللهُ بِهِ وَيُغْنِيهِمُ اللهُ بِهِ».[1]

• الفطرة في حب الأم لأبنائها وحبهم لها:

عَـنْ أَنَسِ بْنِ مَالِـكٍ رضي الله عنه، قَالَ: جَاءَتِ امْـرَأَةٌ إِلَـى عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَـا تَسْـأَلُ وَمَعَهَا صَبِيَّانِ فَأَعْطَتْهَا ثَـلَاثَ تَمَرَاتٍ، فَأَعْطَتْ كُلَّ صَبِـيٍّ تَمْـرَةً تَمْـرَةً، وَأَمْسَكَـتْ لِنَفْسِهَا تَمْرَةً، فَـأَكَلَ الصَّبِيَّانِ التَّمْرَتَيْنِ، فَعَمَدَتْ إِلَـى التَّمْرَةِ فَشَقَّتْهَا نِصْفَيْنِ فَأَعْطَتْ كُلَّ صَبِيٍّ لَهَـا نِصْفَ تَمْرَةٍ، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَأَخْبَرَتْـهُ، فَقَالَ: «وَمَا يُعْجِبُكِ مِنْهَا لَقَدْ رَحِمَهَا اللهُ بِرَحْمَتِهَا صَبِيَّهَا».[2]

---

(1) أخرجه الترمذي في سننه (4/344 رقم 1966) وقال: حديث حسن صحيح والنسائي في سننه الكبرى (5/376 رقم 9182)، وابن حبان في صحيحه (10/53 رقم 4242).

(2) أخرجه الحاكم في المستدرك (4/196 رقم 7349) وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وأقره الذهبي.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عنه قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله مَنْ أَحَقُّ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: «أُمُّكَ». قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «أُمُّكَ». قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «أُمُّكَ». قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَبُوكَ».(1)

• **الأمر بالتأليف بين الأحبة والمنع من التفريق بينهم:**

عَنْ أَبِي أَيُّوبَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الْوَالِدَةِ وَوَلَدِهَا فَرَّقَ الله بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَحِبَّتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».(2)

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ زَوْجَ بَرِيرَةَ كَانَ عَبْدًا، يُقَالُ لَهُ: مُغِيثٌ. كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ يَطُوفُ خَلْفَهَا يَبْكِي وَدُمُوعُهُ تَسِيلُ عَلَى لِحْيَتِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِعبَّاسٍ: «يَا عَبَّاسُ أَلَا تَعْجَبُ مِنْ حُبِّ مُغِيثٍ بَرِيرَةَ وَمِنْ بُغْضِ بَرِيرَةَ مُغِيثًا». فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ «لَوْ رَاجَعْتِهِ». قَالَتْ: يَا رَسُولَ الله، تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: «إِنَّمَا أَنَا أَشْفَعُ». قَالَتْ: لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ.(3)

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه (5/2227 رقم 5626).

(2) أخرجه الترمذي في سننه (3/580 رقم 1283) وقال: حسن غريب والدارمي في سننه (2/299 رقم 2479).

(3) أخرجه البخاري في صحيحه (5/2023 رقم 4979).

خاتمة

وما تزال مسيرة الحب لرسول الله ﷺ مستمرة من بعده لا تنقطع أبدًا إلى يوم القيامة يخبرنا بذلك النبي فيما يرويه أبو هُرَيْرَةَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مِنْ أَشَدِّ أُمَّتِي لِي حُبًّا نَاسٌ يَكُونُونَ بَعْدِي يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ رَآنِي بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ».(1)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ فِي يَدِهِ لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أَحَدِكُمْ يَوْمٌ وَلَا يَرَانِي، ثُمَّ لَأَنْ يَرَانِي أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ مَعَهُمْ».(2)

والسؤال المهم في ختام رحلتنا هذه مع الحب في حياة رسول الله ﷺ: ما هي الوسيلة الناجحة والسبيل الواضح القريب للتشبع بهذا الحب وجني ثماره اليانعة؟

والجواب المختصر المفيد هو أن الصلاة على النبي محمد هي الوسيلة الدائمة التي يعبر بها المسلم عن حبه لرسوله في كل وقت وحين.

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحه (4/ 2178 رقم 2832).

(2) أخرجه مسلم في صحيحه (4/ 1836 رقم 2364).



فعن أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ قال: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا ذَهَبَ ثُلُثَا اللَّيْلِ قَامَ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا اللهَ اذْكُرُوا اللهَ، جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ، جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ، جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ».

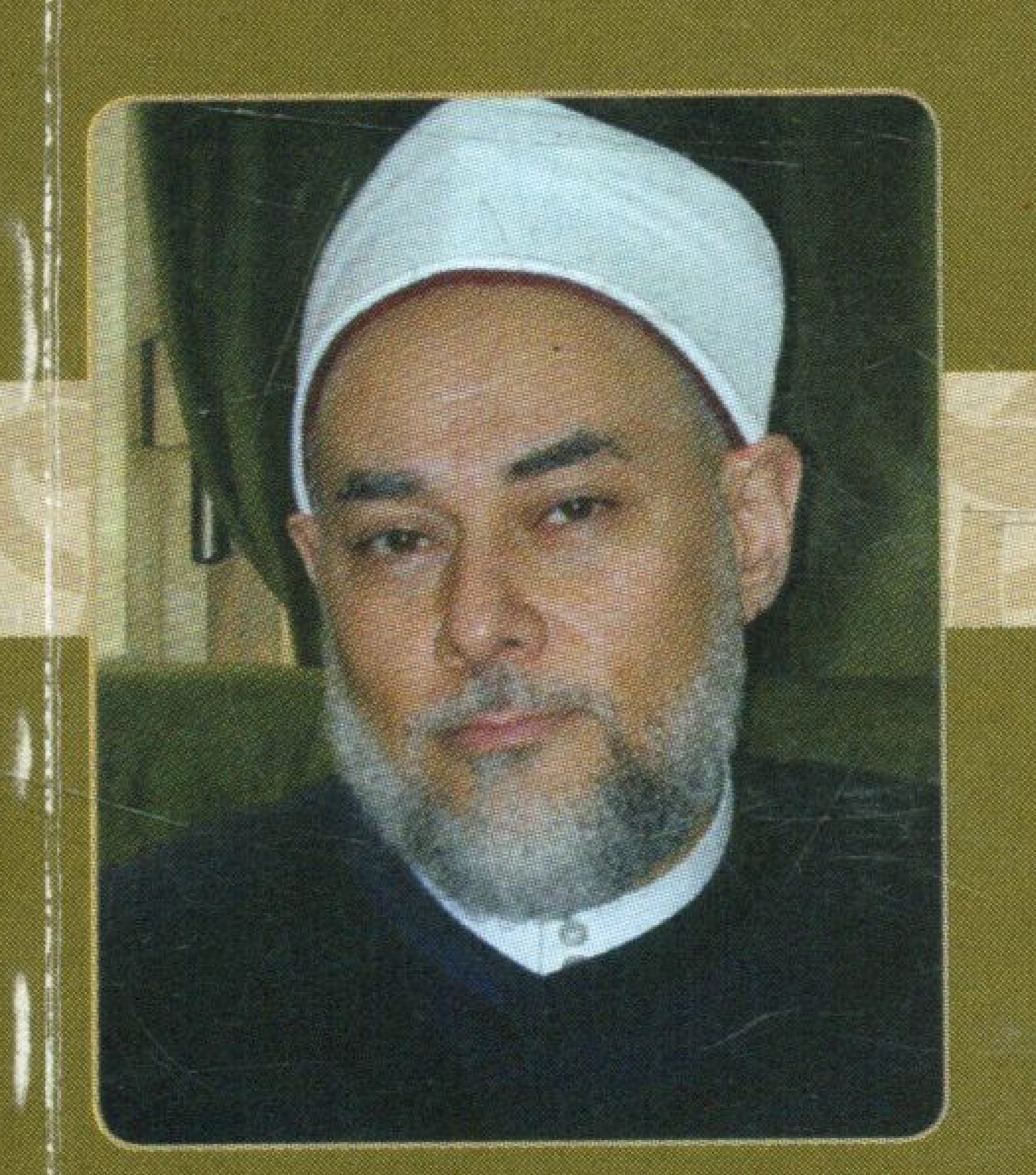
قَالَ أُبَيٌّ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَيْكَ، فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي؟ فَقَالَ: «مَا شِئْتَ». قَالَ: قُلْتُ: الرُّبُعَ؟. قَالَ: «مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ». قُلْتُ: النِّصْفَ؟. قَالَ: «مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْر لَكَ». قَالَ: قُلْتُ: فَالثُّلُثَيْنِ؟. قَالَ: «مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ». قُلْتُ: أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا. قَالَ: «إِذًا تُكْفَى هَمَّكَ وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ».[1]

(1) أخرجه الترمذي في سننه (636/4 رقم 2457) وقال: حديث حسن صحيح، والبيهقي في شعب الإيمان (217/2 رقم 1579)

الفهرس



نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع



حاكموا الحب

مسيرة الحب في حياة رسول الله ﷺ

أ.د. علي جمعة

إن كثيرًا من دلائل الحب التي جرت أيام الرسول ﷺ بينه وبين زوجاته وأبنائه وأصحابه يصعب على كثير منا تفسيرها أو تأويلها؛ لأننا نعيش الآن في عصر انتزعت منه قيم الحب الأصيلة المسيطرة على أحداث عصر النبوة، فلا نستطيع استيعاب مثل هذه الحوادث إلا إذا لبسنا نظارة الحب لنرى ونتذوق ونستمتع.

من هنا يحاول هذا الكتاب تقديم بعض حالات الحب التي عاشها رسول الله ﷺ؛ فقد كان طاقة حب ورحمة وحنان ورقة تسري روحها في كل شيء، والكتاب بذلك يدعو الأمة الإسلامية للتوحد حول محبة رسول الله، فهذه المحبة قادرة على توحيد كلمتنا وجمع شملنا.




نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع
www.nahdetmisr.com